جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد السادس والعشرون [يناير ٢٠٢٥م]

# الأنا والآخر في السيرة الذاتية النسائية

## رضوى عاشور أنموذجًا

دكتورة

سماح علي محمد عبدالله

مدرس الأدب والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

# الأنا والآخر في السيرة الذاتية النسائية: رضوى عاشور أنموذجًا

سماح علي محمد عبد الله.
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: Samah_ali@azhar.edu.eg

الملخص:
يهدف البحث إلى الإسهام في رسم صورة جديدة لأدب المرأة، من خلال رؤية الأنا والآخر في السيرة الذاتية للكاتبة، والتي استطاعت من خلالها أن تخرج من نطاق الداخل/ البيت، إلى آفاق الخارج/ المجتمع، كما يتعين الكشف عن عناصر البناء السردي في فن السيرة الذاتية، ومحاولة التوصل من خلالها إلى معالم الهوية الأنثوية في المضمون والأداة، وقد سلكت الدراسة سبيل المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على القراءة والتأويل للأفكار والرؤى بغية الوصول إلى النتائج المستهدفة، ومنها: تهيأ للكاتبة بعض عوامل النشأة والتكوين العلمي والنفسي مما جعل رؤيتها للأنا/ الذات، والمرأة، والشرق، ورؤيتها للآخر/ الرجل، والمختلف فكريا، والغرب – رؤية موضوعية تتكامل مع رؤية الرجل، وتحقق قدرًا من التوازن الثقافي تتراجع أمامه بعض أسباب الشقاق الذي ران على واقعنا الثقافي، فضلاً عن التحقق من أن تداخل الأجناس الأدبية في فن السيرة الذاتية، ليس مرده فكر ما بعد الحداثة بقدر ما يرجع إلى طبيعة كتابة الذات داخل إطار واحد، يحكم وثاقه مجموعة قواعد صارمة، إضافة إلى الوصول لبعض معالم الهوية الأنثوية التي كان لها حضور لافت في المضمون والأداة، بقدر ما بين الرجل والمرأة من اختلاف في التكوين النفسي، وفرق في السمات، والقدرات

**الكلمات المفتاحية:** الأنا والآخر، السيرة الذاتية النسائية، الدكتورة رضوى عاشور.

# The Self and the Other in Women's Autobiography

## A Case Study of Radwa Ashour.

Samah Ali Mohamed Abdullah.
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic Studies and Arabic for Women, Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Samah_ali@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to contribute to creating a new image of women's literature through the exploration of the concepts of "self" and "other" in the autobiographical narrative of the author, who succeeded in transcending the domestic/private sphere into the horizons of the external/public sphere. The study also seeks to uncover the structural elements of the autobiographical genre and attempt to discern the characteristics of feminine identity in both content and form. The study followed a descriptive-analytical methodology that relies on reading and interpreting ideas and perspectives to achieve the targeted conclusions. Among the key findings is the author's exposure to several factors of upbringing, scientific formation, and psychological development, which shaped her perspective on "self/identity," women, the East, as well as her view of the "other," including men, ideologically different groups, and the West. This perspective is objective and complements the male view, contributing to a balance in culture that diminishes some of the discord that has affected our cultural reality. Additionally, it was found that the blending of literary genres in the autobiographical form is not attributed to postmodern thought but rather to the inherent nature of writing the self within a unified framework, governed by a set of strict rules. The research also concluded that certain traits of feminine identity were prominent in both content and form, reflecting the psychological differences and distinctions in characteristics and abilities between men and women.

Keywords: Self and Other, Women's Autobiography, Dr. Radwa Ashour.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

الحجرات/ ١٣

# إهداء ..

إلى (أم الحكايات) ..رضوى عاشور ...وكل رضوى ..

إليها في قبرها الذي (لا أخال به وحشة ..)

إن كانت قصتك مع الكتابة قد انتهت؛ فهي بأقلام تلميذاتك لم تنته، (مادامت قابلة لأن تُروى ..)

إليها..، وإلى كل امرأة لم يتسرب اليأس إلى قلبها، ولم تنكس قلمها مهما أحاطت به غياهب الجهل والجهالة، فقاومت البكاء بالقلم، بغية أن تترك شيئاً جميلاً في (منديلها المعقود) ...

الباحثة

## المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

عندما اقتضت إرادة الله أن يجعل في الأرض خليفة – منذ بدء الخليقة– خلق الرجل ثم خلق المرأة، هبطا معاً إلى الأرض، وبهما بدأت الحياة الدنيا، ولهما سُخر الكون. وأي صوت ينادي بأهمية الدور المنوط بأحدهما عن الآخر، أو ينادي بالتنافس بينهما، أو المساواة – بمعناها الدارج– صوت لا يُعول عليه، ويفضي بصاحبه إلى اقتحام معركة كلامية، وقودها ذلك الجدل البيزنطي الذي لا منتهى له، ولا طائل من ورائه. لأن دور كل منهما متمم لدور الآخر، وقد كُلف كل طرف منهما بعدد من الواجبات والتكاليف التي هُيئ لها عقلياً، ونفسيًا، وجسدياً.

ونتيجة للفهم الخاطئ للدين، والانسياق الكامل لهوى النفس وشياطين الجن والإنس ممن سُلطوا على مجتمعاتنا المسلمة بقطبيها: الرجل والمرأة؛ انحرفت بعض أقلام الرجال في رسم صورة المرأة في مختلف الدراسات الإنسانية، وقدمت المرأة في صورة غير صحيحة، وصُورت عند بعض الكتاب على أنها مجمع الشرور!

وما إن نالت المرأة قدرًا من الحرية يكفل لها تقديم ذاتها من خلال الكتابة؛ حتى انبثقت تصب جام غضبها على الآخر الذي يكون – على الأغلب– رجلاً، ودارت بالقلم في فلك ذاتها، تتوزع بين إثبات ذاتها، ورد عدوان الرجل، وتصحيح الصورة المشوهة التي التقطتها عدسة الرجل، ودارت رحى معركة فكرية بين قطبي المجتمع، تتكرر فيها بعض المصطلحات نحو: المجتمع الذكوري، وسلطة الرجل، والقهر المجتمعي، وأدب الأظافر الجميلة، والنسوية، وغيرها ..وانطلق نقد الرجل – على الأغلب– من ثقافة: (فدعي الرماح لأهلها ...)، وانبرت بعض أقلام الرجال من النقاد تتلقف أدب المرأة، وتتحرى أخطاءه؛ فأضرت المرأة بالمرأة بعد أن كتبت ذاتها بذاتها تحت تأثير تجربة خاصة دفعتها أن تسكب غضبها باندفاع أنثوي لا تحمد عواقبه، وأجهزت النسوية على ما تبقى للمرأة من حقوق، وصارت بعض الأقلام النسائية محل تندر وسخرية في البيئة الثقافية.

كان هذا هو المناخ الثقافي الذي واجهته الدكتورة رضوى عاشور، وتعاملت معه بحيطة وحذر، ناهيك عن احتدام الجدل حول قبول الآخر الغربي، وانقسام النقاد والأدباء بين من يبالغ في القبول، وينبهر بكل وافد، و من يبالغ في الرفض، قانعًا بموروثه متعصبًا له .

وانطلقت الكاتبة بالقلم، لم يمنعها الخوف من الأحكام النقدية المعدة سلفاً عن أدب المرأة؛ ومارست حقها في الكتابة التي أعدتها حقًا مشروعًا لا ينبغي أن يكون مشفوعًا بمعاذير ومحاذير تجعلها مشحونة بحدة، وربما ترمي بها إلى حيث رمت بغيرها من الأدبيات، ولم يعقها ذلك الميراث الثقافي الثقيل عن المرأة، ومن المرأة . كما حاولت تسجيل رؤيتها تجاه الآخر الغربي؛ لأنها توافر لها من الظروف المجتمعية ما لم يتوافر لغيرها من الأدبيات– على نحو ما سيتضح– من بين هذه المعطيات راودتني فكرة هذا البحث، الذي ترجع **أسباب اختياره وأهميته إلى الآتي:**

–محاولة رصد بعض التجارب النسائية في الكتابة الأدبية تغاير الصورة السائدة لأدب المرأة، من خلال الخروج من بوتقة الذات إلى آفاق المجتمع، للسعي خلف تحقيق قدر من التوازن في الواقع الثقافي الذي امتلك أدب الرجل أمره عن تكليف، ومسئولية، وجدارة .

–رصد تجربة نسائية ذات رؤية موضوعية للأنا والآخر، تغاير رؤية الرجل من حيث كونها مختلفة عنه جنسيًا، وتغاير رؤية المرأة– على الأغلب– لكونها لم تنطلق إلى الكتابة نتيجة لانفعال أنثوي ناجم عن تجربة خاصة، بل تهيأ لها من عوامل النشأة والتكوين النفسي، والعلمي، والمجتمعي؛ ما جعل رؤيتها مختلفة، ومتميزة، وجديرة بالبحث.

–تتبع الهوية الأنثوية في السرد النسائي مضمونًا وفنًا، للخروج برؤية تخالف أو تعزز أحد الرأيين في إشكالية (خصوصية أدب المرأة) .

–أهمية دراسة السيرة الذاتية عامة، والنسائية منها خاصة، لأنها الميدان الفسيح لأدب الاعتراف، وكتابة الذات، فضلاً عن تداخل الأجناس وانصهارها داخل البنية السردية للنص السير ذاتي الذي يجمع بين جاذبية المتخيل، وإثارة الواقعي، فيشكل تحديًا للمرأة ذات الطبيعة النفسية التي تتداوى بالبوح، في حين يقف لها المجتمع بالمرصاد مُرهبًا، ومحاسبًا.

–دافع شخصي لكوني امرأة، تشابهتُ مع الكاتبة في بعض السمات، ووجدتُ بعضًا من نفسي بين سطور سيرتها الذاتية، واستبد بي فضول الباحثة، ونهم القارئة، للوقوف على رؤيتها للأنا والآخر، والرغبة في محاولة الخروج بقناعة ربما تفضي بي إلى مزيد من الاعتزاز بقدرات جنسي الخلاقة، ورغبته في العطاء في كل ميدان، فضلاً عن الرغبة في الكشف عن سمات هذا الجنس وهويته في بنية السرد، من رؤية إحدى المنتميات إليه، لا تلك السمات التي أصبحت صكًا تهرأ من كثرة استعماله، بسبب الصورة المتشابهة للمرأة في أدب الرجل، ومدى رسوخها في العقل الجمعي بسبب هيمنته الثقافية .

– ضرورة وجود بحوث في جامعتنا العريقة تتناول بعض الشخصيات الأدبية التي تبتعد فكريًا ومنهجيًا وثقافيًا عن البيئة الأزهرية، لتكون نموذجًا تطبيقيًا لقبول الآخر في الدراسات النقدية.

**إشكالية البحث، وأسئلة الدراسة:**

تكمن إشكالية البحث في معالجة النظرة الدونية لأدب المرأة، واتهامها بالتبعية، وملاحقة نتاجها الأدبي بتعميم الأحكام المعدة سلفًا من النقد الساخر، والنقض الجائر، دون مراعاة الاختلاف في المستوى الثقافي للأديبات، فضلاً عن الوقوف على السمات الموضوعية والفنية للنص السير ذاتي عند المرأة، ورصد رؤيتها للأنا والآخر، ويتفرع من هذه الإشكالية عدة تساؤلات:

لماذا الأنا والآخر؟ ولماذا السيرة الذاتية؟ ولماذا الدكتورة رضوى عاشور؟ وهل سلكت الكاتبة نمطاً ثابتاً في كتابة سيرتها الذاتية؟ وهل استطاعت أن تخرج من نطاق الأنا/ الذات إلى آفاق المجتمع؟ وهل كانت رؤيتها للأنا والآخر رؤية موضوعية؟ وهل ثمة صدى للدكتورة رضوى الروائية في سيرتها الذاتية؟ وهل للهوية الأنثوية في المضمون والأداة؛ حضور لافت في السيرة الذاتية النسائية ؟

وحتى تحقق الدراسة أهدافها من خلال الإجابة على التساؤلات السابقة؛ اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى أربعة مباحث، يسبقها مقدمة وتمهيد، ويعقبها خاتمة، وفهرسان أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات على النحو الآتي:

مقدمة: وتضم أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكالية البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

تمهيد ويضم:الأنا والآخر – السيرة الذاتية النسائية–الدكتورة رضوى عاشور .

المبحث الأول: الأنا/ المرأة، والآخر/ الرجل.

المبحث الثاني: الأنا/ العربي، والآخر/ الغربي.

المبحث الثالث: جماليات البناء السردي.

المبحث الرابع: معالم الهوية الأنثوية في السيرة الذاتية النسائية.

الخاتمة– فهرس المصادر والمراجع – فهرس الموضوعات .

منهج البحث: فرضت طبيعة البحث على الباحثة أن تتخذ من المنهج التحليلي الوصفي سبيلاً للوصول إلى أهداف الدراسة، حيث القراءة، والتأويل للأفكار والرؤى، وتتبع أسرار جماليات البنية السردية، والكشف عن هوية المرأة من خلال المضمون والأداة، كما استعانت الباحثة بالمنهج النفسي في استبطان الذات الكاتبة.

**الدراسات السابقة:**

تقتضي أمانة العلم، وموضوعية الباحثة؛ أن أشير إلى بعض الدراسات الأدبية، والنقدية التي تشابهت مع موضوع هذا البحث، وحازت قصب السبق، وكانت مَعيناً له ، ومُعينًا عليه، وقد تنوعت بين مقالات، وبحوث، وكتب، منها:

من المقالات: من تضليل التناص، إلى اقتناص الجوهر. د مصطفى رجب، و(أثقل من رضوى: أنشودة حياة)، لسمر جبر، و(فصول من سيرة رضوى عاشور الذاتية) لمحمود عبدالوهاب، و (هموم الوطن في أثقل من رضوى) لأحمد سراج، و (سمات النص السير ذاتي في أثقل من رضوى) نهلة راحيل، و (السيرة الذاتية النسوية: البوح والترميز القهري)، د حاتم الصكر، و(السيرة الذاتية النسائية في مصر) محمد شفيق عبدالرحمن.

ومن الكتب: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، د أمل التميمي، وصورة الذات والآخر: دراسة في أنماط السيرة الذاتية، د وجيه يعقوب السيد. وغيرها.

ومن البحوث: رضوى عاشور في (أثقل من رضوى): سردية مغايرة، د/بهاء الدين محمد فريد، و(كتابة الذات والوطن في مذكرات رضوى عاشور.) د/هالة كمال، و(أطياف ما بعد الحداثة في نص السيرة الذاتية (أثقل من رضوى) في الميزان، د مؤمنة حمزة عون.

وقبل أن يلح التساؤل على القارئ، بفائدة هذه الدراسة، وما الذي تضيفه بجانب هذا الكم الهائل من الدراسات التي أقيمت حول السيرة الذاتية للكاتبة؛ أبادره بأن الاختلاف يكمن في أمرين: الأول: تناول هذا البحث إشكالية الأنا والآخر، وهي باب لم يُطرق في السيرة الذاتية للكاتبة من قبل.

والثاني: تناولت جميع الدراسات السابقة للسيرة الذاتية للكاتبة في كتابها (أثقل من رضوى) فقط، بينما تناولتُ سيرتها الذاتية من خلال كتبها الثلاثة: الرحلة، وهو باكورة نتاجها الأدبي، وأثقل من رضوى، والجزء الثاني منه الذي نشر بعد وفاتها وهو (الصرخة).

وقد تجاوزتُ الحديث عن النتائج التي تناولتها الدراسات السابقة، واكتفيت بالإحالة إليها، وأفرغت الجهد لدراسة الملامح الموضوعية، والسمات الفنية التي لم يتطرق إليها أحد–فيما أعلم–؛ لتعزز الدراسة، وتتمم ما سبقها من دراسات.

وأخيراً..أسأل الله الإخلاص، والقبول، والتجاوز عن الخطأ، والسهو، وله – جل وعلا– الحمد، والشكر، والفضل، والثناء.

**(الباحثة)**

**التمهيد:**

- الأنا والآخر
- السيرة الذاتية – النسائية
- الدكتورة رضوى عاشور

## الأنا والآخر

تصدرت إشكالية الأنا والآخر الدراسات الفلسفية ثم الدراسات الأدبية والنقدية، بعد أن فرضت نفسها في الإبداع الأدبي شعرًا ونثرًا في كل عصر، بيد أن الأمر أصبح أكثر تعقيدًا، وتصويرًا، وطرحًا، في العصر الحديث؛ نتيجة لسهولة الاتصال والتواصل، والتفاعل مع الآخر، فضلاً عن سهولة النشر، التي أتاحت الكتابة لكل من يمتلك نافذة إلكترونية يطل من خلالها على العالم، وكثير ما هم.

وقد شاع مفهوم الأنا في الدراسات الفلسفية على (العقل العربي)، وشاع مفهوم الآخر على (العقل الغربي)، وقلما خرج معنى اللفظتين في الدراسات الفلسفية عن هذا، وكثيرة هي تلك المؤلفات التي عنيت بدراسة هذه الإشكالية من منظور فلسفي، وقد تناول الدارسون والباحثون هذه الإشكالية التي تضرب بجذورها إلى العصور الأولى للحضارة الإسلامية، " وتحويل فكر الآخر للذات، ومن ثم تجاوزه إلى ما هو أفضل منه، بعد نقده وتمحيصه، وبيان قوته من ضعفه؛ هذا ما لمسناه في فلسفات فلاسفتنا في العصر الوسيط، كالكندي، والفارابي، وأبي بكر الرازي، وابن سينا، ... وذلك لهضمهم لفلسفات اليونان، والهند والفرس، ونقدها وتكييفها مع الواقع العربي الإسلامي . " [1]

وظل مصطلح الأنا والآخر يدور حول العربي والأجنبي مع بدايات العصر الحديث، " عندما قامت النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع

(١) من الآخر إلى الذات: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر. د. حسن مجيد العبيدي ص١٠٣، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

عشر، اتجهت صوب الآخر (الغرب) لتطلع على ما أنتج وما كتب وألف في شتى ميادين العلم والفلسفة والأدب وما شابه ذلك..." (١)

وإذا ما تجاوزنا الفلسفة إلى الإبداع الأدبي في العصر الحديث؛ سنلاحظ – بعد قليل من التأمل– أن مفهوم الأنا والآخر أصبح أكثر اتساعًا، وانفتاحًا، واستيعابًا لكل أنماط الاختلاف مع الأنا، كالاختلاف الجنسي، والعرقي، والفكري، والديني، والسياسي، والمكاني، فضلاً عن الأجنبي .

ويرجع اتساع مفهوم الأنا والآخر إلى أسباب، منها: أنه ليس بإمكان كل أديب أن يختلف مع الآخر الأجنبي، لأن الاختلاف مع الأجنبي بحاجة إلى عوامل كثيرة أهمها امتلاك ناصية لغته، ومعايشة تجاربه، والتعمق في دراسة تاريخه ومجتمعه وفلسفته ونتاجه تعمقًا يتيح الاختلاف معه والحديث عنه . وهذا أمر لم يتح إلا لفئة قليلة من الأدباء والمفكرين . والفئة الأكبر اتجهت صوب الداخل لتبحث فيه عن كتابة ذاتها والوقوف على سمات الأنا لديها، وترقب الآخر، وتحاول الحديث عنه وإليه، وانتبه المبدع إلى غربته داخل أوطانه، فتحدث عن الآخر/المرأة، والآخر/ الخصم الفكري، والسياسي، والآخر/ أنماط وعادات التخلف المجتمعي . وتنوع الإبداع، وطفت على سطح الحياة الأدبية مصطلحات نحو: الأدب النسائي، الأدب النسوي، أدب الرحلات، أدب الاعتراف، أدب السيرة الذاتية، قصيدة المقاومة، أدب الرفض، التحرر والالتزام، وكلها أنماط للحديث عن الأنا والآخر بمفهومه المتسع الذي أشرت إليه قبل.

إشكالية (الأنا والآخر) في الفن القصصي– الذي يعد الميدان الأكثر رحابة لتناولها – ظلت تتمحور حول المعنى الفلسفي السابق إلى أن تحررت في رؤيتها وأصبح الآخر – كما ذكرت – هو المختلف عن الأنا بأي نمط من أنماط الاختلاف، " إن الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي، وتتضح إشكالية الأنا (العربية والإسلامية) والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم، والمواجهة السياسية والعسكرية، أما علاقة الذات به

(١) من الآخر إلى الذات، حسن مجيد العبيدي، ص١٠٤.

من الناحية الثقافية، والاقتصادية، والتقنية، فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها . " [١]

والحديث عن الخصم السياسي والفكري، والعادات المجتمعية البالية، وصور التخلف في المجتمع الواحد؛ كلها صور لتناول الآخر داخل حدود الوطن الواحد " مصطلح صورة الذات هو النسق التصوري الذي يتبناه الفرد حول الخصائص النفسية والاجتماعية والبدنية التي ينسبها إلى نفسه، كما يشير إلى الخصائص العقلية والسلوكية والاجتماعية والانفعالية التي تنسبها جماعة معينة من البشر إلى نفسها ." [٢]

وبناء على ما سبق؛ سيكون تناول الأنا والآخر في هذا البحث مرتكزاً على الأنا/ الذات الفردية أو الجماعية بمختلف تكوينها وأبعادها، والآخر/ المختلف عن الذات الفردية والجماعية. " وتنحصر دلالته في المتميز عن الأنا الفردية أو الجماعية، وتكون أسباب هذا التميز إما مادية جسمية، وإما عرقية، أو حضارية أو فروقات اجتماعية أو طبقية. " [٣]

**السيرة الذاتية – النسائية**

ولد هذا الجنس الأدبي في الأدب العربي الحديث فتيًا، ولعل أكثر ما يميزه عن غيره؛ أنه عصي على التأطير والتقعيد والتنظير، وتختلف أنماطه طبقاً لاختلاف دوافعه ومراميه التي تختلف اختلافًا كبيرًا بين كل كاتب وغيره، اختلافاً يعلن عن اختلاف النفس البشرية في منازعها وتكوينها، ودروبها، ومسالكها، وميولها، ومراميها. وهذا الاختلاف قد أفاد هذا الجنس الأدبي؛ فأخذ من كل جنس بطرف، فتجد فيه أصداء الرواية، والمسرحية، والقصيدة،

(١) إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية، د ماجدة حمود، عالم المعرفة – الكويت. ، ص١٧، ط١/ ٢٠١٣م.

(٢) صورة الذات والآخر: دراسة في أنماط السيرة الذاتية، د وجيه يعقوب السيد، ص١٢، دار البشير، مصر.، ط١/ ٢٠١٨م. وقد ورد في الكتاب نفسه بعد مناقشة الإشكالية: " أقصد بالآخر هنا؛ كل ما سوى النفس.) ص٧٨.

(٣) الذات والآخر في الشرق والغرب: صور ودلالات وإشكاليات، د حسن شحاته، ص١٧، دار العالم العربي – القاهرة،ط١/ ٢٠٠٨م.

والمقالة، وأدب المذكرات اليومية، وأدب الرحلات، والأدب الرسائلي، استوعب النص السير ذاتي كل هذا، وجمع بين حسنيي القص والاعتراف، والخيال والحقيقة، وليس هذا التداخل نتيجة لفكر ما بعد الحداثة، بقدر ما هو وسيلة لكتابة الذات التي تتعسر كتابتها في نمط واحد أو جنس واحد، تحكم وثاقه مجموعة قواعد وأسس.

وسيظل النص السير ذاتي ملهمًا بقدر ما يجد فيه القارئ المتعة الفنية– التي لا تنفك عن جمال المضمون وصدق الشعور – فضلاً عما ينشده القارئ بين سطوره من: حكمة، وخبرة، وشجن، وفكاهة، ودمعة، وبسمة، وجد، وهزل.. صورة للإنسان ..من حيث كونه إنساناً فحسب . ولن أجد الخوض في نشأة هذا الفن، والتنظير له مجديًا أو بالأحرى جديدًا، إذ ليس في اجترار أقوال السابقين ما يضيف إلى موضوع هذا البحث، ويعبد المسالك إلى مراميه . (١)

ولعل الوقت قد حان للكشف عن أسباب اختيار السيرة الذاتية النسائية دون غيرها، السيرة الذاتية في العموم " هي الأقرب إلى الإنسان، تفتش في خزائنه، وتنقب في بواطنه، وتقلب ذاكرته؛ لتستخرج الأحاديث المطمورة، والانفعالات المدفونة، والرغائب المكبوتة، وهي أيضا تؤرخ للعقل البشري في بحثه عن الحقيقة، والتجرد من الكذب والزيف، وتقديم الشخصية من الداخل إلى الخارج" (٢)

وإذا كان هذا حال السيرة الذاتية مع الرجال، فكيف بحالها مع المرأة التي جبلت على محبة الفضفضة، بل تعد الثرثرة وسيلتها المعتادة لتفريغ كل المشاعر السلبية، وما إن أتيحت لها الكتابة؛ حتى اندفعت ترسم ذاتها في

(١) للوقوف على التنظير لفن السيرة الذاتية؛ انظر: الترجمة الشخصية للدكتور شوقي ضيف، و فن السيرة للدكتور / إحسان عباس، والترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث للدكتور / يحيى إبراهيم عبد الدايم، التراجم والسير للناقد / محمد عبدالغني حسن، و السيرة: تاريخ وفن لماهر حسن فهمي، وأدب السيرة الذاتية لعبدالعزيز شرف، وغيرها.

(٢) بحث بعنوان كتابة الذات ورقشها عند بنت الشاطئ، د/ عوض عبد الباعث الأخرس، مجله كلية دار العلوم بالقاهرة، مصر، العدد(١٤١) ، ص٣٣٥، يوليو ٢٠٢٢م.

أسلوب لا يخلو من افتعال، وهي حيلة دفاعية لإثبات نفسها في ساحات الإبداع الأدبي الواقع تحت سلطة الرجل، ثم لم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، بل صبت جام غضبها وانفعالاتها على الآخر، الذي كان – على الأغلب – رجلاً، " إن وضع المرأة الخاص والمشروط بعقلية توارثتها الأجيال لاعتبارات تاريخية، ذات مرجعيات مختلفة؛ يجعل مسألتها تطرح باستمرار ضمن مشروع التحرر؛ ولذا فالكتابة تصبح في هذا السياق التعبيري، مرتبطة أكثر بالمجال الذي يتحرر من خلاله الإنسان... " (١)

ولكن المرأة ظلت – حتى كتابة هذه السطور– متهمة بالتقوقع حول الداخل في الكتابة السردية عامة فضلاً عن كتابة السيرة الذاتية، الداخل بمعناه: البيت والجسد، وظلت في نظر البعض منغلقة على قضاياها، حبيسة ماضيها، منشغلة بما يؤلمها، ويؤرقها، دون الانفتاح على الواقع بكل معطياته، حتى اتهم كل الأدب النسائي بأنه في مجمله سيرة ذاتية، لا تستطيع المرأة في الفن القصصي أن تتحرر من أسر قضاياها، ومشكلاتها؛ فتسقطها على الشخصيات والأحداث " تحيل بعض الدراسات والآراء كتابة المرأة إلى الداخل، إنها كتابة الداخل: داخل الجسد وداخل البيت.." (٢)

لعل السبب في اختيار نص سير ذاتي نسائي، قد بدأ يتشكل في وعي القارئ، وأدرك أنها محاولة تسعى إلى تقليص الجدل القائم حول الأدب النسائي، والوقوف ضد تأطيره في أطر لا يتعداها، من خلال قراءة لكاتبة كتبت عن ذاتها، وكتبت عن الآخر، بصورة توحي بوعي مغاير، قد يُحدث – لو تتبعنا التجارب المماثلة– تحولاً في المشهد الثقافي، والفكري، والواقع الابداعي، إنها محاولة لخلق التوازن في حياتنا الأدبية والفكرية، أو – على الأقل – التوعية بخلقه – من خلال قلم نسائي يمتلك قدراً كبيراً من الوعي والثقافة، والقدرة على قراءة الذات قراءة جادة، والخروج من أفق الذات إلى رحابة المجتمع، واستبدال التغني بأوجاع الذات، إلى التغني بأوجاع الأمة،

(١) السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، د. زهور كرام، شركه النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص١٩، ط١/ ٢٠٠٤م.

(٢) السابق، ص ١٠٣.

واستبدال الانبهار بالآخر إلى تعريته، والكشف عن مساوئه، في نظرة حيادية عمادها النقد البناء، إنها محاولة للكشف عن قدرة المرأة في الانخراط في قضايا مجتمعها، والكشف عن أدوائه، فضلاً عن قدرتها على الغوص في أعماق ذاتها؛ لتخرج برؤية حيادية، دون زيف أو تجمل .

وهي محاولة لا تروم إثبات تفوق أدب المرأة على أدب الرجل، ولا تعلو بأدب الرجل على أدب المرأة، ولا تسعى لإثبات المساواة بينهما، وإنما تهدف إلى إثبات حاجة الواقع إلى رؤية تكاملية متوازنة لكل قضاياه، وتهدف إلى الخروج من دائرة كون الأدب النسائي، هو أدب رد الفعل تجاه القمع الذكوري. " إن مشروع التحرر لا يمكن أن يتأسس على موقف رد الفعل،... ونرى أن الإبداع النسائي هو الذي تنتجه المرأة، بشكل يشخص حساسيتها الأنثوية، ومظاهرها النسائية من خلال موقف، يصوغ المفاهيم بشكل يبدو جديداً، ينتج عنه معرفة جديدة بالأشياء، وهذا المنظور يمكن أن يفعل في تركيبة الإبداع، ويعمل على تطويره. " (١)

من هنا بدأت رحلتي في البحث عن شخصية نسائية، تحاول أن تثبت هذه الرؤية، من خلال سيرتها الذاتية التي غردت من خلالها خارج السرب، وقد وقع الاختيار على شخصية الدكتورة (رضوى عاشور).

**الدكتورة / رضوى عاشور**

إن كانت السطور لا تفي بالوقوف على كل جوانب هذه الشخصية الثرية، فحسبي إشارة عجلى، لا يتيح هذا البحث المختصر بأكثر منها، اجتمع للكاتبة من التكوين النفسي والفكري والعلمي والأسري والطبقي؛ ما يؤهلها لهذه المهمة التاريخية، والسبب الأهم في اختيارها؛ كونها خارج دائرة النسوية التي أضحت محل جدال شائك، واتهام متبادل، وجرأة قميئة، وتمرد طاغ، حتى أمسى ذكر أسمائهن فضلاً عن أفكارهن محل رفض واشمئزاز من قبل الرجال والنساء على السواء، لأنهن ألحقن ضرراً بالمرأة، وبقضايا المرأة أكبر بكثير من الضرر الذي لحقها من انتشار الجهل والعنف .

(١) السرد النسائي العربي، د/ زهور كرام، ص ١٠٧- ١٠٨.

أهم ما يميز الكاتبة إذن؛ الحيادية وموضوعية التناول، وتقبل الاختلاف، والاعتزاز بالنفس / شخصية الأنثى، دون غلو مرفوض، فقدمت الكاتبة نفسها من خلال سيرتها الذاتية بمنطق صاحبة الحق في الكتابة، مثلها كمثل الرجل، وساعد في ذلك كله تكوين شخصية الكاتبة، بكل أبعادها الثقافية والفكرية والنفسية، فلقد هيأ الله لرضوى عاشور نشأة أسرية مميزة، أضافت إليها ثقلاً معرفيا، وخبرة إنسانية، و محبة للنفس و للناس و للحياة، و تقديساً للفنون، و شغفًا بها؛ فضلاً عن زواجها من (مريد البرغوثي) الشاعر والكاتب والإعلامي الفلسطيني، بعد صراع مع أسرتها – الرافضة لهذه الزيجة– دافعت فيه عن رجل أحبته وآمنت به بل وبقضيته، وخاضت معه حياة ملؤها الحب، والمودة، والتراحم، والغربة القاسية، وحتى آخر كتابتها (سيرتها الذاتية)، يبقى (مريد) هو المرافق والصديق والزوج، وتخط بقلمها وهي تصارع الموت؛ ما بقي في ذاكرتها وعقلها من أحاديث، لم ترد لها أن تُقبر معها . وكان لعلاقتها بزوجها بالغ الأثر في موضوعية رؤيتها، فاختلفت تجربة الكاتبة عن غيرها من الأديبات، ممن كانت الكتابة لديهن محاولة للتحرر من ضغط تجربة خاصة أفضت بهن إلى الحدة في الكتابة. لعل تميز الكاتبة – كما رأيت – ولعل سبب اختياري لها من بين كل الأقلام النسائية؛ قد بدا واضحاً.

إن حالة الشطط والغلو في كتابات المرأة السردية ولا سيما السيرة الذاتية، – ومثلها كتابة بعض الرجال وهجومهم غير المسوغ دائمًا على المرأة – كل هذا لا يعدو كونه مجرد رد فعل، ينبع في الأصل من إخفاق التجربة الشخصية، وشدة وقعها على النفس، وعدم القدرة على التحرر من ربقة الذكريات المؤلمة، ليُسكَب هذا الألم في الكتابة النسائية–خاصة–، فنجد الشطط، والغلو، والتعميم المطلق في الأحكام والرؤى، وشيطنة الآخر، – كل الآخر – ليصبح الرجل هو العدو الأول المتكرر في حياة المرأة، ولا تشفع له حينئذ أبوة ولا أخوة فضلاً عن الزواج !

بقي لي أن أقف مع أهم الملامح والعوامل التي أسهمت في شخصية الدكتورة رضوى عاشور، وتكوينها على النحو الآتي:

الكاتبة امرأة عربية مصرية مسلمة، تعلمت في المراحل الأولى من

حياتها، في مدرسة فرنسية، ثم درست الأدب الإنجليزي بكلية الآداب، ثم نشأت نشأة نصفها أخذ طابع الريف، والنصف الآخر طابع المدينة، وبعض عائلتها يشتغل بالعلم والفن والمحاماة، والبعض الآخر بالتجارة، ثم تزوجت من أديب ومناضل فلسطيني، وكتبت في النقد والإبداع، وكتبت بالعربية والإنجليزية . وولدت، ونشأت، وعاشت، وماتت في خضم حياة ملؤها الحروب والاستعمار والصراعات السياسية، والفكرية والاجتماعية، والدينية، في دول العالم الثالث، ناهيك عن الحروب الساخنة والباردة بين الغرب / الأوربي والأمريكي، والشرق العربي الإسلامي، فضلاً عن الصراع العربي مع تلك البؤرة الظالمة المظلمة التي غرستها بريطانيا في قلب العروبة النابض (فلسطين)، في محاولة بائسة لقيام دولة مزعومة لبني صهيون . ثنائيات رضوى هذه هي التي شكلت شخصيتها، وأهلتها للحديث عن الأنا والآخر بصورة مختلفة عن غيرها من الأقلام النسائية .

ولدت الكاتبة رضوى مصطفى عاشور في السادس والعشرين من مايو لعام ١٩٤٦م، في بيت يطل على النيل في منطقة المنيل بالقاهرة . تقول رضوى:" ولدت عام ١٩٤٦م، وقضيت طفولتي المبكرة في شقة بنفس المنطقة، تطل على كوبري عباس الذي فتحته قوات الشرطة قبل ولادتي بثلاثة أشهر على الطلبة المتظاهرين فحاصرتهم عليه بين نيرانها والماء ." (١)

التحقت بمدرسة فرنسية، في مراحل التعليم الأولى، ولكنها لم ترد الاستمرار فيها، فكانت أولى محاولاتها للتمرد، حيث لم تزل بوالدها حتى استجاب لرغبتها، ونقلها إلى مدرسة أخرى، ولم تكن مقررات التعليم وحدها هي

(١) صيادو الذاكرة،د. رضوى عاشور، ص ٢١٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب – ط١/ ٢٠٠١م،. ولعل ما عرفت به الكاتبة من رمزية، تتضح في هذه الكلمات القلائل، التي أرادت أن تضم فيها الأحوال والأحداث في وطنها، منذ أن ولدت..بل قبيل مولدها، كأن مصر تستقبل المولودة المناضلة المتمردة و الأديبة الواعية، والأستاذة الجامعية؛ بهذا الحدث المخزي لطلاب الجامعة، ومقابلة أصوات رفضهم؛ بأصوات القنابل والرصاص، وعندما يتاح لهم الاختيار؛ يكون هذا الاختيار بين الموت بالرصاص، أو الموت غرقاً في مياه النيل الشاهد على حضارة مصر، و تراجعها.

التي جعلتها تنفر من المدرسة، ولكنها ضاقت بما فيها من عنصرية ممقوتة، ومن سلوكيات المعلمات الفرنسيات المثيرة للفزع والاشمئزاز، حيث كن يتجاهلن الحديث مع التلميذات عن تاريخ مصر، كما كن ينفرن من اللغة العربية، ويعاقبن من يتحدث بها. تقول الكاتبة: " ألحقني أهلي بمدرسة فرنسية حيث معلمات يدعون مدام ميشيل، ومداموازيل دينيز، ومدام رازوموفسكي، وتلميذات يحملن اسم فرانسواز وماريون، .. وكنا نحن الفاطمات (تعني العربيات المسلمات) نعامل على أننا أقل، لم يقل ذلك أبدًا في كلمات، ولكنه كان يسري في المكان كالهواء الذي نستشفه دون أن نراه أو نعي حتى وجوده . " (١)

درست الكاتبة الأدب الإنجليزي بالجامعة، وعينت معيدة في كلية البنات جامعة عين شمس، انتقلت بعدها إلى كلية الآداب في ذات الجامعة . " حصلت على الماجستير في الأدب المقارن من جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م، وكان موضوعها (جبران وبليك)، ثم الدكتوراه عام ١٩٧٥م، في الأدب(الأفرو_أميركي) من جامعة (ماساتشوستس) بالولايات المتحدة الأمريكية. عينت رئيسة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة عين شمس، كما عملت أستاذاً زائراً في عدد من الجامعات العربية، والأوروبية، والأمريكية . " (٢)

نشأت الكاتبة في أسرة نصفها (عائلة الأب) من أصول ريفية، حيث مولد أبيها بإحدى قرى محافظة الشرقية، والآخر(عائلة الأم) قاهري، ثم قدر لها بعد أن تقيم في الولايات المتحدة الأمريكية مدة الدراسة للحصول على درجة الدكتوراة، ثم تسافر سنوياً بعد ذلك إلى أوربا في الدنمارك في العطلة الصيفية لترافق زوجها في منفاه، فضلاً عن كثرة الرحلات العابرة في المدن الكبرى بالعالم، وكان جدها لأبيها كان يعمل بالتجارة، حيث كان من كبار التجار

(١) صيادو الذاكرة، ص ٢١٣.

(٢) قاموس الأدب العربي الحديث، إشراف وتحرير د / حمدي السكوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب بتصرف،ص ٢٨٦، ط١/ ٢٠١٥م.

ببلبيس بالشرقية [١]، وجدتها لأبيها التي انتقلت للعيش بالقاهرة مع ابنها (والد الكاتبة) بعد وفاة زوجها، فحملت ميراث القرية المصرية إلى حيث البيت الذي تعيش فيه الكاتبة، بل إلى حيث غرفتها، حيث كانت تشاركها الغرفة. [٢]

أما جدها لأمها فهو الدكتور (عبدالوهاب) الذي كان يُدرس في مدرسة الدراسات الشرقية التابعة لجامعة لندن، وعمل أستاذًا للغات الشرقية وآدابها في كلية الآداب جامعة القاهرة، تقول الكاتبة عنه: " عين سفيراً لمصر في باكستان، كان يتقن الفارسية والأردية، حقق الشاهنامة، ونقل إلى العربية من بين ما نقل (المثنوي) لجلال الدين الرومي، وشعراً لمحمد إقبال . " [٣]

والأب هو (مصطفى عاشور) المحامي المحب للغة العربية، الغيورعلى ابنته، المجتهد المحب لعمله وأولاده، البار بأمه وبإخوته، تقول عن أبيها الذي وافق على تسمية أخويها حاتم، ووائل، وكان الجد (عبد الوهاب) صاحب اقتراح التسمية: " هذين الاسمين راقا للمحامي المغرم باللغة العربية، والبلاغة، والخطابة، لا لأنها أداته في مرافعاته، في المحكمة، تدرب على حسن استخدامها في المدرسة، وكلية الحقوق، بل لأنه مولع بالأدب العربي القديم، وحريص على اقتناء ما يمكنه من شعره ورسائله . " [٤]

والأم: (مية) ابنة الدكتور عبدالوهاب، التي ولدت بضاحية حلوان بالقرب من القاهرة عام ١٩٢٢م، كانت تنظم الشعر، وترسم اللوحات الزيتية، وتتعلم العزف على البيانو قبل زواجها . [٥]

وثمة جانب آخر من شخصية الكاتبة؛ كان دافعاً قويا لاختيار سيرتها الذاتية في هذا البحث، وهو علاقتها بالآخر/الأجنبي، منذ أن تعلمت الكاتبة

---

(١) انظر: الصرخة، رضوى عاشور، دار الشروق –مصر، ص١٠٠، ط١| ٢٠١٥م.

(٢) انظر: صيادو الذاكرة، ص ٢٢٧.

(٣) الصرخة، ص١٠٥.

(٤) أثقل من رضوى، ص ٧. كان لرضوى أخ يكبرها بعامين اسمه (طارق) ، غير هذين الأخوين، فقد كانت البنت الوحيدة لثلاثة أشقاء ذكور.

(٥) السابق، ص١٣٢. لا يخفى ما في الأسلوب من تبرم رضوى بقمع المواهب الفنية والأدبية للمرأة حتى تقوم بوظيفة الحمل والولادة فقط.

الإنجليزية والفرنسية في طفولتها، ثم التحقت بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة القاهرة؛ توسعت في علاقتها بالآخر من خلال القراءة العميقة للأدب والتاريخ، فقد كانت مولعة بهما، ثم ازدادت هذه الصلة عمقا عندما أتيح لها السفر إلى إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة، ونيل درجة الدكتوراة، فعايشت المجتمع الغربي منذ شبابها، وخبرت نقاط قوته وضعفه، فضلا عن سفرها المتكرر إلى أوربا – كما ذكرت – لمرافقة زوجها في عطلتها الصيفية .

أدت الكاتبة دور المثقف كما ينبغي أن يكون، وأضاءت بكل حرف، وموقف، وكلمة، شموعاً أنارت لكثير من تلامذتها ومحبيها الطريق، في وقت كان المثقفون فيه بين من آثر السلامة واكتفى بالعزلة، أو الانكباب على القراءة والكتابة، أو الغضب والتخبط بين التفاؤل والتشاؤم، والاكتفاء بلعن الظلام .

وجاءت كل كتاباتها الإبداعية وحتى النقدية تسير وفق منهج واحد، وهو مناصرة المستضعفين، والتمرد ضد الاستبداد والعنصرية، والنظرة الموضوعية للأفكار، فلا نعجب حينما نعلم أنها سافرت إلى أمريكا لدراسة الأدب الأفرو– أميركي الذي يتناول قضايا السود في أمريكا، وكذلك تحدثت عن قضية فلسطين في كتاباتها النقدية، وتناولت قضايا المرأة في أعمالها الروائية، وتناولت أوجاعها الشخصية من خلال الكتابة الروائية في رمز وتلميح، وأسلوب يجنح إلى الكبرياء والأنفة وينأى عن الشكوى والبكاء. وتحدثت عن السياسة والنقد السياسي والمجتمعي بأسلوب ساخر محبب تميزت به عن جل الكتابات النسائية. وتنوع نتاجها بين الإبداع، والنقد، والترجمة، فضلاً عن عشرات المقالات باللغتين: العربية والإنجليزية. [1]، كما " أسهمت

(١) من دراساتها النقدية: " البحث عن نظرية للأدب: دراسة للكتابات النقدية الأفرو – أمريكية (١٩٩٥م)، وهي الرسالة التي أعدتها للدكتوراة، و الطريق إلى الخيمة الأخرى: دراسة في أعمال غسان كنفاني ١٩٧٧م، وجبران وبليك (١٩٧٨م) وهي في الأصل رسالة الماجستير التي قدمتها لجامعة القاهرة، والتابع ينهض: الرواية في غرب أفريقيا (١٩٨٠م) ، و في النقد التطبيقي: صيادو الذاكرة (٢٠٠٠م) . " قاموس الأدب العربي، د حمدي السكوت، ص٢٨٦. وجمعت أسرتها بالتعاون مع بعض =

في المشروع الضخم المتمثل في موسوعة الكاتبة العربية، كما أشرفت على ترجمة المجلد التاسع ل(موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي) وساهمت فيه .." (١)

وقد استدعت التراث، ووظفت التاريخ في قضاياها المتمثلة – كما أشرت – في مناصرة المستضعفين، ومقاومة الاستبداد. (٢)، والاهتمام بقضايا المجتمع، وعلى رأسها المرأة.(٣)

حظيت الكاتبة بمحبة وتقدير الزملاء، ومن مظاهر المحبة تعاون جهود زملائها ومحبيها على جمع مقالاتها باللغة العربية في كتاب بعد وفاتها،

---

=

الأصدقاء والصديقات مقالاتها باللغة العربية في كتاب بعنوان: لكل المقهورين أجنحة: الأستاذة تتكلم، رضوى عاشور، ونشرته دار الشروق عام ٢٠١٩م، كما أن لها كتابا مهماً لم يرد ذكره في قاموس الأدب العربي الحديث وهو: الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق، نشرته دار الشروق، عام ٢٠٠٩م.

(١) المنديل المعقود: دراسات في أعمال رضوى عاشور، تحرير وتقديم د / فاتن مرسي، دار الشروق – القاهرة،، ط١/٢٠١٦. م ومن أعمالها الإبداعية: " ومن أعمال رضوى عاشور الإبداعية: حجر دافئ (رواية١٩٨٥م) ، و رأيت النخل (مجموعة قصصية ١٩٨٧م) و خديجة وسوسن (رواية ١٩٨٩م) ، وسراج (رواية ١٩٩٠م) ، وثلاثية غرناطة (ثلاثية روائية ١٩٩٤م) ، ومريمة والرحيل ١٩٩٥م، و أطياف (رواية ١٩٩٩م) ، و تقارير السيدة راء (نصوص قصصية ٢٠٠١م) ، و قطعة من أوربا (رواية ٢٠٠٣م) ، فرح (رواية ٢٠٠٨م) ، والطنطورية (رواية ٢٠١٠م) :قاموس الأدب العربي الحديث، ص ٢٨٦.

(٢) فكتبت ثلاثية غرناطة عن المورسكيين وضياع الأندلس بعد الحرب الأمريكية على العراق،والتي عرفت بحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م. وكتبت روايتيها: الطنطورية و أطياف نصرة للقضية الفلسطينية التي طالما كانت جزءا منها، لكونها عربية مسلمة أولا، وزوجة لفلسطيني مناضل من أكبر وأشهر عائلات فلسطين، وأم لابن ترك له والده ميراثاً ثقيلاً، ترك له وطنا مغصوباً، وجرحا نازفاً، ثم سلمه سلاح القصيدة؛ ليكمل – إن استطاع – نضال أبيه، وحزن أبيه، وغربة أبيه. والمتأمل لمشروعها يلحظ أن التاريخ وسيلة لا غاية، ويتضح ذلك من خلال المقالات التي تناولت الكاتبة فيها علاقتها بالكتابة ودوافعها إليها وقد نشرتها في كتاب صيادو الذاكرة.انظر صيادو الذاكرة، ص٢١٦، ص٢٢٧.

(٣) المنديل المعقود، د / فاتن مرسي، ص٨.

وهو (لكل المقهورين أجنحة)، وكذا جمعهم ونشرهم لآخر ما خطت يدها، ونشره بعد وفاتها، وهو كتاب (الصرخة) (الجزء الثاني من سيرتها الذاتية، وكان الجزء الأول هو: (أثقل من رضوى)، وقد صدر بقول أحد القائمين على النشر: " في هذا النص، تكمل رضوى عاشور رواية تجربتها مع عودة المرض، وما جرى في مصر، وقد توقفت عن الكتابة في سبتمبر عام ٢٠١٤م، ووافتها المنية في أول ديسمبر في العام نفسه، وقد قمنا بنشر هذا النص كوثيقة ...وقد تعرضت رضوى عاشور لعدة عمليات جراحية؛ لإزالة ورم في الرأس، في ديسمبر ٢٠١٠م، ثم في فبراير ٢٠١١م، ثم في فبراير ٢٠١٣م، ثم في أرهوس بالدنمارك، ثم إلى سبع جلسات إشعاعية في القاهرة بين مايو وأكتوبر من عام ٢٠١٤م، أثناء كتابتها لهذا النص .." [١]

وكان من أفضل، وأوجز، وأوجع ما قيل في رثائها؛ ما كتبه زوجها (مريد) على صفحته الخاصة في التطبيق الإلكتروني (الفيس بوك)، بعد فراغه من جنازتها، والفراغ من دفنها: (لا وحشة في قبر رضوى) !!، وقد أشعلت هذه المقولة نيران الحزن في قلوب محبيها، واقتبسها غير واحد من الكتاب، والمدونين على صفحات مواقع التواصل الرقمي، ليقيموا المقالات عن الدكتورة رضوى، تعريفاً وتأبيناً متخذين من جملة مريد عنواناً ومدخلاً .[٢]

(١) مقدمة الصرخة، الناشر، ص٥، ٦. وأقيمت لها احتفالية تأبين كبري، ألقى فيها شعراً في رضوى كل من زوجها مريد، وابنها تميم، وجمع غفير من محبي الدكتورة رضوى الأستاذة، والصديقة، والزميلة، والإنسانة. والمثقفة المصرية النبيلة، وقد سجلت هذه الاحتفالية، واستودعت منصة (اليوتيوب) الإلكترونية.

(٢) كانت هذه الجملة اقتباسا من الكاتبة من ختام روايتها الأكثر شهرة (ثلاثية غرناطة) عن بطلة القصة (مريمة) حيث قالت: (لا وحشة في قبر مريمة..) ، وقد أبانت عن مقصدها من هذه الجملة الختامية عندما قالت: " تنتهي الرواية بعبارة: (لا وحشة في قبر مريمة) (بطلة الرواية) ، غرناطة إذن ليست فقط حكاية موت واندثار، غرناطة حياة، بستان من المعاني المكنونة في باطن الأرض، نذهب إليه عبر الحكاية، والمدهش أن الحكايات التي تنتهي، لا تنتهي..مادامت قابلة لأن تروى." أثقل من رضوى ص٢٨١.

**السيرة الذاتية للدكتورة رضوى عاشور ودوافع كتابتها .**

للكاتبة ثلاثة كتب في السيرة الذاتية؛ والمفارقة العظيمة تتجلى في كون الكتاب الأول لها في السيرة الذاتية (الرحلة)؛ هو باكورة كتاباتها الإبداعية، والكتاب الثاني بجزأيه: (أثقل من رضوى) و (الصرخة) هو آخر ما كتبت، قبيل وفاتها، وقد شرعت فيه بعد أن داهمها المرض، وكانت قد توقفت عن الكتابة فيه، وإكمال بعض أجزائه، قبيل وفاتها بشهرين بعد أن فقدت قدرتها على الإمساك بالقلم، وانهارت كل قواها بسبب جلسات الإشعاع التي خضعت لها . وما بين (الرحلة)، و (الصرخة) رحلة طويلة من صرخات أطلقها قلم الكاتبة، علها تجد من يقرأ ويعي، ولم تختلف آراء الكاتبة في قضاياها من أول أعمالها (الرحلة) وحتى آخر ما كتبت (الصرخة)؛ إلا بمقدار الاختلاف بين حماس المرأة العشرينية، وحكمة المرأة الستينية التي تنادي نداءها الأخير وهي قاب قوسين أو أدنى من الموت .

وسأعرف – بإيجاز – بالكتب الثلاثة، وفقاً لترتيبها الزمني، قبل خوض غمار البحث .

١- الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا . نشر عام ١٩٨٣م، وكما يتبدى من العنوان؛ أن الكتاب يتناول حديث الكاتبة عن رحلتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، للحصول على درجة الدكتوراة، و يجمع بين أدب السيرة الذاتية، وأدب الرحلات، ولكنه أقرب إلى السيرة الذاتية، تقول عنه الكاتبة في إحدى مقالتها: " كانت مادة (الرحلة) جزءًا من سيرتي الذاتية، وإن لم تكن تطرح أية صعوبات في فهمها والتعبير عنها . بدت الكتابة ممكنة، وكنت أرغب في تقديم شهادة على رحلتي الأمريكية تختلف وتتواصل مع مجموعة من النصوص التي كتبها أدباء مصريون، ذهبوا إلى الغرب طلبا للعلم ." [١]

(١) صيادو الذاكرة، ص ٢١٥. تناول الكتاب حشداً من المواقف التي تعرضت لها الكاتبة في رحلتها، سردتها بطريقتها الخاصة؛ فمزجت بين قناعاتها الشخصية، وأفكارها، ورؤيتها لكل ما يخص الجامعة، والشارع الأمريكي، وبين الأحداث السياسية والمجتمعية الكبرى في مصر والأوطان العربية آنذاك، وفي حياتها الخاصة، وعلاقتها بزوجها. والتزمت الكاتبة بترتيب الأحداث زمنيا، كما حدثت في الواقع على الرغم من أن الكتاب مقالات منفصلة، يحمل كل مقال؛ قضية وفكرة أكثر مما يحمل سردًا للأحداث.

٢- الكتاب الثاني(أثقل من رضوى: مقاطع من سيرة ذاتية)، وهو آخر ما خطت يداها؛ وبعد أن أصيبت بمرض السرطان، وسافرت أكثر من مرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتلقي العلاج، وإجراء أكثر من عملية جراحية خطيرة ودقيقة في الرأس، كادت أن تنهي حياتها، بعد هذا الميلاد الجديد، عادت الكاتبة إلى مصر، وكانت مصر في هذه الحقبة تمر بظروف تاريخية وسياسية تدعو للقلق، وهي المرحلة الانتقالية بعد ثورة يناير ٢٠١١م، وقد نشر الكتاب عام ٢٠١٣م، قبل وفاتها بعام واحد، اعترفت من الغلاف أنه مقاطع من سيرة ذاتية، فكتبت هذه الجملة أسفل عنوان الكتاب، وبالفعل لم يكن الكتاب سيرة ذاتية بمعناها المعهود، وإنما كان مقالات منفصلة لا تسير وفق ترتيب زمني محدد .

٣- الصرخة: مقاطع من سيرة ذاتية، الجزء الثاني من (أثقل من رضوى)، صدر عام ٢٠١٥م، في العام التالي لوفاتها، وقد تولت أسرتها نشره بما فيه من صفحات بيضاء خالية إلا من رؤوس أقلام أو عناوين، وقد صُدر بمقدمة موجزة بدون توقيع لأحد القائمين على دار النشر، أبان فيها عن نشر نص الكتاب كوثيقة، دون تدخل إلا في بعض الحواشي التي تشرح إشارات في النص، وتحيل إلى الجزء الأول من الكتاب. وربما الاختلاف الذي لاحظته بين الجزأين؛ تميز الجزء الثاني (الصرخة) بأمرين: الأول: عدم مغالبة الكاتبة لضعفها وحزنها وخوفها من الموت، بل وتيقنها بقرب انتهاء الأجل، وانتصار المرض، وقد جاهدت حتى تواري هذه المشاعر السلبية في الجزء الأول، فقد بدت فيه امرأة صلبة تواجه المرض الأكثر قوة، بقوة مضادة. الأمر الثاني: سرد بعض الذكريات، والأحداث، والشخصيات التي مرت بحياتها، وأثرت فيها، وتأثرت بها، وتركت في عقلها وقلبها أفكارا وانفعالات؛ لم ترد أن تترك الدنيا دون أن تودعها بين دفتي كتاب ." وترجع قيمة الترجمات الذاتية التي كتبت في هذه الفترة؛ إلى أنها في مجموعها سجل لحقائق الحياة الفكرية والروحية والأدبية والاجتماعية والسياسية لأصحابها، كتبها في مصر والعالم العربي أعلام النهضة، وجهابذة الرجال الذين تركوا طابعاً واضحاً في حياتنا المعاصرة . " (١)

(١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د/ يحيى إبراهيم عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٩٤، ط١/ ٢٠١٧م.

وثمة دوافع لكتابة السيرة الذاتية لم تصرح بها الكاتبة، لعل إخلاصها للتيار اليساري الذي تنتمي إليه، وخوفها من أن يُكتب التاريخ – وهي على دربة ودراية بالتاريخ وكتابته وكُتّابه – فخشيت من أن تنسب الثورة لتيار بعينه، ولم تستطع المرأة التي تجاوزت الستين، وأمست رأسها مهشمة يرقع بعضها بعضاً، من كثرة العمليات الجراحية التي أجريت لها في هذه الآونة – لم تستطع أن تقف عاجزة، مكتوفة الأيدي، فأمسكت بالقلم لتقاوم حتى النفس الأخير، تؤرخ لهذه الحقبة من تاريخ الوطن. وعلى أية حال كتبت الدكتورة (رضوى) سيرتها الذاتية؛ فكتبت ذاتها من خلال الواقع، وخرجت من نفق مشاعرها الضيق؛ إلى آفاق رؤية القراء، والرضا بمشاركتهم، وسمو الغاية وبث الأمل، ونشر التفاؤل، واستمرار السعي، من خلال حديثها عن صمودها وصبرها في محنة المرض .

**المبحث الأول:**

## الأنا / المرأة، والآخر / الرجل

**مدخل:**

مارست الكاتبة حق الكتابة من أجل غايات الكتابة الكبرى بوصفها حق مشروع لها، لا ينبغي أن تبحث له عن مسوغات، ولا ينبغي أن يكون مشفوعاً بمعاذير ومحاذير تجعلها مشحونة بحدة تدفعها إلى ما اندفعت إليه مثيلاتها ممن عاصرنْها أو سبقنها . " فشعورها بفقدان ذاتها تاريخياً، يؤسس لديها شروط التعامل مع هذا الفقدان من منطلق كونها لم تشكل عنصرا صانعاً لتاريخ الذات . " (١)

وانطلقت في الكتابة من مبدأ قولها: " أنا امرأة عربية ومواطنة من العالم الثالث، وتراثي في الحالتين تراث الموءودة. أعي هذه الحقيقة حتى العظم مني .." (٢)

ولكن ما يميز الكاتبة ويجعلها متفردة بين الأقلام النسائية في العالم العربي هو مسلكها المغاير الذي مر الحديث عنه والمتمثل في: اهتمامها بقضايا المرأة بدا مستتراً خلف القضايا السياسية والمجتمعية والثقافية باقتدار وإحكام، و الأمر الثاني: كان تناولها لقضايا المرأة تناولاً حياديا متفرداً بعيداً عن لغة المرأة في السرد التي يكثر فيها ذكر مصطلحات نحو: القهر المجتمعي، والسلطة الذكورية، وغيرهما، و لغة الكاتبة وأسلوب الكتابة لديها الذي ينأى عن الحدة وافتعال الخلاف، بل يتسم بالهدوء ويحاط بالتحليل المنطقي والتفسير النفسي، وتنويع الأساليب، والمزج بين الجد والهزل، والفكاهة والسخرية، والسرد والحوار، والفصحى والعامية؛ ليجد القارئ نفسه يسلس قياده لفكرها وعقلها ورؤيتها دون نقض وانتقاد. وقد تناولت الكاتبة المرأة وقضاياها بكثرة في جل كتاباتها الإبداعية دون صخب ولا غضب، حتى ليخيل إلى القارئ أنها لم تكتب عن المرأة كما كتبت في التاريخ وأحداثه . " ويخطئ من

(١) السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، د. زهور كرام،،ص١٦٧ .

(٢) صيادو الذاكرة، د رضوى عاشور: ص٢١٣.

يتصور أن كاتبتنا لم تعر قضية المرأة أي اهتمام .." (١)

ويأتي الحديث عن المرأة في السيرة الذاتية للكاتبة، مغلفا بالصدق، وممتزجاً بالواقعية، لأنها شخصيات حقيقية، وتميزت الكاتبة في التنويع بين النماذج النسائية لتبرز عددًا من قضايا المرأة، كأنها تريد أن تقول إن طريق المرأة نحو الحصول على حقوقها كاملة طويل وشاق، وتحمل كل امرأة جزءًا من عبء الوصول، لأن كل امرأة حرمت حقا أو حقوقاً غير الأخرى، وكل امرأة تحمل نموذجًا وصورة مغايرة للأخرى ..لنجد هذا التمازج العجيب في الاختيار بين الريف والمدينة ومصر وفلسطين، والأستاذة الجامعية، والأمية ..كل هذا في سرد هادئ الصوت، خافت الغضب، لا ذكر فيه للآخر / الرجل إلا على استحياء، ومن وراء حجاب يمنعه أن يعارض أو ينتقد .

من تلك النماذج، السيدة (سكينة) أم زوجها (مريد البرغوثي)، ركزت في حديثها عنها؛ تتبع صفاتها الإيجابية، وتحليل صفاتها النفسية، فهذه المرأة أم فلسطينية ماهرة نشيطة، تتميز بإتقانها الشديد في كل ما ينبغي على المرأة إتقانه، وكان هذا مكمن انبهار الكاتبة بها . تقول عنها: " يصعب الكلام عن سكينة البرغوثي دون الكلام عن أمور ثلاثة هي في رأيي أكثر ما يميزها: مهاراتها في التطريز والحياكة، ونجاحها اللافت في تربية أولادها الأربعة، وفي رعاية النباتات والشجر . هي زرعت هذه الحديقة بطابقيها . " (٢)

وكان مما يثير إعجاب الكاتبة الشديد بهذه السيدة، هو نشاطها وقدرتها على العمل على الرغم من تقدمها في السن فتقول: " كانت سكينة حين فلّحت هذه الأرض بمساعدة مزارع أحياناً، تقترب من الثمانين من عمرها، أي والله، الثمانين ! " (٣)

---

(١) المنديل المعقود، ص ٩. تحدثت عن المرأة بوضوح وتصريح في كتابها (صيادو الذاكرة) حيث وردت بالكتاب عدة مقالات تعنى بالمرأة، ومنها مقال (تجربتي مع الكتابة) حيث أبانت عن أنها تكتب من أجل أن تترك أثراً، فتقول: " عندما غادرت طفولتي، وفتحت المنديل المعقود الذي تركته لي أمي وعمتي، وجدت بداخله هزيمتهما. بكيت... وقررت إنني سأكتب كي أترك شيئاً في منديلي المعقود. " صيادوا الذاكرة، ص٢١٥

(٢) الصرخة، ص ٩٥.

(٣) السابق، والصفحة.

وتشيد بحسن تربيتها لأبنائها الأربعة، على الرغم من كثرة التنقل من مكان إلى مكان، وصعوبة الحال في الأراضي المحتلة، فتقول: " تريد لهم (تعني الأبناء) أن يكونوا الأفضل في البلد، ونجحت في تحقيق ما تريد، رغم قسوة الظروف، تحبهم حب الأمهات الطاغي، وتشعر حتى وقد تقدم العمر بها أنهم ملكية خاصة، لا تقبل مشاركة الآخرين لهم فيها إلا ظاهرياً. " (١)

وقد تجلت الشخصية الفلسطينية، أو تجلى رمز فلسطين في صفات هذه السيدة، كما رأته الكاتبة من خلال الآتي:

– حب الزراعة، والشغف بالانغماس في العمل، حيث لا يوقفها غربة ولا تقدم في العمر، وتتجلى المفارقة بين فلسطين وبين العدو الصهيوني في تلك العدوانية الشديدة للعدو التي تتجلى للبشر والحجر والشجر، فلديهم رغبة دائمة في التخريب واقتلاع الأشجار وحرقها بينما يعرف الفلسطيني بالاهتمام البالغ بأشجار الزيتون رمز فلسطين .

وربما العدد (الأربع)، يرمز إلى أولادها الأربعة، مريد البرغوثي وإخوته، تقول: " يعمل الإسرائيليون بلا كلل على اقتلاع أشجار الزيتون . يأتون بجنودهم، وجرافاتهم، ومناشيرهم الكهربائية، ويعملونها في الجذور المعمرة، وتكون المذبحة .." (٢)

–اعتزازها الشديد بالأرض، وتمسكها بها، فقد عرضت على (تميم) حفيدها شراء الأرض المجاورة لمنزلها تقول الكاتبة: " لم أفهم حين قالت لتميم: ألا تستطيع انتشال العائلة؟ إن اقتلاع أشجارها كان أشبه بالغرق! تحتاج ولداً من أولادها، أو حفيداً من أحفادها لانتشالها منه .." (٣)

ومن ملامح شخصية السيدة (سكينة البرغوثي)، فقدان الشعور بالأمان، والشعور الدائم بالوحدة، والخوف، وتحلل الكاتبة هذا الأمر بسبب اليتم، حيث مات أبوها وعمرها سنتان، تقول: " كان اليتم فارقاً، لم تتعاف منه سكينة حتى أدركتها الشيخوخة، وامتلأ بيتها بالأولاد والأحفاد . تشعر بالغربة، والوحدة،

(١) الصرخة، ص١٠٤.

(٢) الصرخة، ص ١٠٤.

(٣) الصرخة، ص ٩٨.

وافتقاد السند . لم يكن فيها مرارة بل سخط وتوجس من نوايا الآخرين.." [١]

ومن ملامح شخصيتها التي لم ترق للكاتبة؛ كثرة الشكوى، وطول الغضب والضجر، والقلق الدائم، ولكن الكاتبة أخذت تبحث عن تحليل نفسي لكل سلوك، فترى أن القلق الدائم النفسي والحسي – أيضا– الذي تبدى في كثرة تنقلها من مكان إلى آخر أكثر من مرة – يرجع إلى قسوة الشعور باليتم، [٢]، وتتعجب الكاتبة من ردة فعل السيدة (سكينة) عندما أهدت لها كتاب (رحلة جبلية ..رحلة صعبة) لفدوى طوقان، وهو سيرتها الذاتية، تقول الكاتبة: " لم تتركه إلا وقد انتهت منه . سألتها، ما رأيك ؟ قالت: أنا رحلتي أصعب ! " [٣]

وتعجبت الكاتبة كثيرا من فرط شكوى السيدة، فتقول: " حولت سكينة حكاية ظلم القرية لها، والشاب الذي أحبته ولم تتزوجه، إلى تراث عائلي، يكاد أولادها، وأحفادها، ومعارفها يحفظونه عن ظهر قلب . نعم كان بين سكينة والدنيا ثأر لم تسامح أبداً فيه . " [٤]

وكان ما يحزن الكاتبة، أن شعور الغضب الذي ينتاب السيدة كان مسيطراً لدرجة أفقدتها استشعار النعم، وكان من أجل النعم، زوجها الذي تقول عنه الكاتبة: " ولما كان زوجها، أبو الأولاد، رفيقاً، وطيباً، وقليل المطالب، كنيته في البلد (الحنون)، فقد أفسح لها الحيز، وتركها تفعل ما تشاء . هي لم تنتبه كثيراً، لأن شعورها بالظلم كان غالباً متصدراً. " [٥]

وتنتقد المنهج الذي سلكته السيدة سكينة في محاولتها لكتابة سيرتها الذاتية فتقول بعد أن قرأت المخطوطة: " لم يعجبني الأسلوب الإنشائي المباشر في الكتابة، ولا المبالغات التي تشفي الغليل، ولا تصنع أدباً، ولم يرق لي تقسيم

(١) االسابق، ص ١٠٣، ص ١٠٤.

(٢) انظر الصرخة، ص١٠٦.

(٣) السابق، والصفحة.

(٤) الصرخة،ص ١٠٤.

(٥) الصرخة، ص ١٠٤.

العالم إلى أشرار وقفوا ضدها، وطيبين ساندوها، وربما أربكني افتقادها للتسامح .." (١)

وتأخذ عليها عدم مراعاتها أنها في بلد محتل، تتشابه ظروف الناس فيه، تقول: " لم تربط بين معركتها للبقاء، والسياق التاريخي لبلد محتل . ويبدو لي أن شعورها الغالب باليتم جعلها تعتقد أن معاناتها، تجربة فريدة تفصلها عن الآخرين، وتميزها عنهم . " (٢)

وتتبدى النظرة الموضوعية، والحيدة في التناول من تناوب السرد بين مميزات الشخصية، وسلبياتها، ومحاولة تحليل الصفات السلبية، وفي ذكر نموذج نسائي لم يكن له من ظالم، أو (آخر/ رجل)، غير نفسه، فالرجل في هذه الرواية مظلوم، وكان منهج السيدة في تحدي الظروف والصعاب؛ هو أكثر ما جعلها تعيش في صراع دائم مع نفسها . ولعل تركيز الكاتبة على فكرة كثرة الشكوى، وعدم التسامح كأنما هذه السيدة هي رمز لفلسطين أو للقضية الفلسطينية التي يحملها أبناؤها، ولا تفتأ ألسنتهم أن تلهج بذكرها داخل الوطن، وخارجه .

ومن قضايا المرأة الحرمان من التعليم، ومن الميراث، ومن حق اختيار الزوج، وهي قضايا عانت منها المرأة في مصر عامة والريف المصري خاصة، واتخذت الكاتبة من شخصية عمتها (عزيزة عاشور) نموذجاً لعرض هذه القضايا التي أُنهكت عرضاً وسرداً، و نقداً ليس من قبل الكتابة النسائية وحدها، بل من قبل الحياة الثقافية بمختلف أطيافها وتوجهاتها، وفي الأدب وغيره من العلوم الإنسانية . ولكن الكاتبة تفردت بطرافة التناول من وجهين:

**الأول:** بدأت حديثها بمفارقة هائلة بين ثلاثة أجيال من النساء في مصر، عمتها، وجيلها، وجيل ابنة أخيها، لتوضح أين تكون المرأة أولاً، قبل أن تقول أين كانت ؟ وهي بهذا تخفف من حدة الشعور بالظلم الذي تتعالى معه نبرات الشكوى، وصخب الغضب من المجتمع والرجال،وفي تلك المفارقة بين

(١) الصرخة،ص ١٠٥.

(٢) الصرخة،ص١٠٧.

الأجيال، وقد حدثت طفرة هائلة في حصول المرأة على حقوقها، بل وعلى قدر كبير من الرفاهية والتدليل؛ تفتتح الكاتبة الحديث بكلام عن ابنة شقيقها التي تشبهها في الملامح، كما تشبه عمتها (عزيزة) في ملامح الوجه فحسب فتقول: " غدت (مها) امرأة جميلة، تعتني كثيراً بمظهرها . تخرجت من الجامعة، وتزوجت، وخلّفت، صارت تسكن مع أسرتها في إحدى المجتمعات الجديدة خارج القاهرة، في بيت يتوسط حديقته الواسعة حوض سباحة، وتعاونها في رعاية صغارها مربية آسيوية .." (١)

فضلاً عن أنها أنصفت الرجل – أيضاً – وخففت كثيراً من غلواء الاتهامات التي وجهت إليه من خلال ذكرها لعلاقة أبيها بعمتها، وموقفه من ميراثها، فتقول: " مالم أكن أعرفه أو أدركه في طفولتي أن عائلة أبي (العشَايْرة) في بدايات القرن العشرين، وربما قبل ذلك، وبعده بعقدين،أو ثلاثة، كانت تُوّرث الذكور دون الإناث، وحتى عندما قرر أبي، وشقيقاه، التنازل عن بعض ما ورثوه لأختهم، بقي الأمر على ما أتخيل موجعاً؛ لأنه جاء من باب التفضل لا الحق. " (٢)

ثم تتناول بالحديث عمتها (عزيزة) الشقيقة الوحيدة لأبيها التي تصغره بقليل، فتقول: " أما عمتي فلم تذهب إلى المدرسة كما ذهب إخوتها الذكور، وبقيت (عزيزة) في بيت أبيها (الحاج محمد عاشور)، تاجر المنيفاتورة إلى أن توفى، فقبل إخوتها طلب الحاج (فهمي الأهواني) الزواج منها، وكان الحاج الذي يملك مضارب الأرز وسيم الوجه، فارع الطول، يكبرها بأكثر من عشرين عاماً. " (٣)

يحمل كلام الكاتبة أهم قضايا المرأة في ذلك الحين، مثل حرمان المرأة من التعليم، والتفرقة في الحقوق بينها وبين إخوتها الذكور، وحرمانها من اختيار شريك الحياة .

---

(١) الصرخة،ص ١٠٠.

(٢) الصرخة، ص١٠٠

(٣) الصرخة،ص١٠٠.

**الثاني:** تتبعت الكاتبة صفات عمتها، وأبرزت محاسنها على الرغم من كل ما تعرضت له، وهي بهذا تلقي الضوء على جانب هو الأهم في شخصية المرأة، وقد تجاهله المجتمع، وتجاهلته الثقافة، وتجاهلته النساء عندما كتبن عن أنفسهن فشوّهنها من حيث أردن الانتصار لها .

فأتت الكاتبة في كل نماذج النساء بأن المرأة أكثر قدرة على تجاوز الشعور بالظلم، بل ربما يدفعها الظلم، وتحركها القسوة، و يحثها الحرمان على مزيد من الرحمة والعطاء .

رأت الكاتبة في عمتها جمال المرأة الداخلي الذي لا يملك أن يحجبه ظلم، أو قهر، أو جهل ومن مظاهر هذا الجمال؛ الحياء الشديد والشعور بالاغتراب عند زيارة أمها في بيت أخيها (المحامي مصطفى عاشور)، تقول الكاتبة: " كانت تتبادل الحديث همساً مع جدتي فاطمة، نعم . أرى بوضوح أن عزيزة كانت تشعر بالغربة في بيت أخيها، وأن علاقتها بزوجة أخيها المدنية المهذبة بقيت رسمية بدرجة ما .." (١)

وهي على الرغم من كل ما لاقته تحب إخوتها، وأولادهم حباً جماً، وتكرمهم إكراماً شديداً عندما يذهبون لزيارتها في بيتها، في مدينة (بلبيس) بمحافظة الشرقية، تقول الكاتبة: " تملأ لنا صحوننا بكمٍّ لا يعقل من الطعام، وتشدد علينا، وتُقسِم أن نأكل، وحين يأتي دور المانجة التي أحبها، تضع لي عدة حبات كبيرة، فأضحك وأقول: هذا قليل يا عمتي ! لا تلتقط الدعابة، وتضاعف الكم الذي يتخم عشرة ! " (٢)

ثم هي قليلة الحديث، تميل إلى العزلة، تقول: " كنت أستشعر وجود حاجز يفصلها عن الآخرين وأنا منهم، ويحول دون تعبيرها عن مشاعرها .." (٣)

وربما يعزلها حزن عميق لا تعلن عنه، ولا تبوح به، وترى الكاتبة أن

(١) الصرخة، ص ١٠١.

(٢) السابق، والصفحة.

(٣) الصرخة،ص١٠١.

الشهادات الجامعية التي حصل عليها إخوتها الذكور ربما كانت سبباً في شعورها بالدونية، تقول الكاتبة: " لابد أنها كانت تعقد المقارنات . فيتحول شعورها بالظلم إلى مرارة لم تفصح لي أبداً عنها، وإن استشعرتها حتى وأنا طفلة تجهل التفاصيل ." (١)

وتكمن أهمية رؤية الكاتبة، وحسن اختيارها لبعض النماذج النسائية من كونها نماذج واقعية صادقة رأتها وحدثتها، واستطاعت هذه النماذج أن تنجو بنفسها من مستنقع الانحرافات النفسية والسلوكية، على الرغم من معانتها منذ الطفولة .

والشخصية النسائية الأكثر ذكراً في السيرة الذاتية للكاتبة هي شخصية الأم، وفاق ذكرها كل الشخصيات في الأسرة، ومن الواضح أن الكاتبة كانت أكثر حبا و ارتباطاً بأمها، وذكرتها وبكتها وشعرت بالاحتياج إليها كثيراً في محنة مرضها، ولكن استقلالها بجزء من سرد بعض السير الغيرية المختصرة لبعض الشخصيات النسائية جاء من كونها مغايرة ومختلفة عن النماذج النسائية التي سبق ذكرها، فأمها ولدت ونشأت وتزوجت في مجتمع المدينة، وكان والدها سفيراً، وأستاذاً جامعياً، ونالت قسطاً وفيراً من التعليم، وتعلمت الرسم، والتطريز، والعزف على البيانو . (٢)

(١) الصرخة،ص ١٠٢. وتأتي شخصية عمتها (علية عاشور) وهي عمة غير شقيقة، فهي ابنة عمة أبيها، ولكنها الأقرب إلى أسرة الكاتبة، وكانت تربطها بوالد الكاتبة علاقة قوية، فكانت بمثابة شقيقته الصغرى الذي يقوم على كل شئونها. وقضايا المرأة التي حملتها (علية عاشور) تتمثل في الزواج المبكر للفتاة الريفية، وتبعاته، ثم الطلاق مع وجود الأبناء، ثم الزواج والإنجاب، والتمزق بين الأبناء من الزيجة الأولى، والثانية، وأخيراً موت الزوج، وتبعاته، تقول الكاتبة: " انفصلت عن زوجها وهي في العشرين، فمنعها من رؤية صغارها (وكانوا أربعة، نعم أربعة؛ لأنها تزوجت في الرابعة عشرة من عمرها) . ولما تزوجت مرة ثانية بعد عدة سنوات؛ رحل زوجها مخلفاً لها ثلاث بنات، كُبراهن في الرابعة، والصغرى بنت سبعة شهور. " فضلا عن صورة الأب| الآخر الإيجابية، الذي كان يقوم على رعاية هذه السيدة.

(٢) انظر الصرخة، ص ١٠٥.

كانت قضية المرأة التي حملتها الأم (مية) هي الحصول على قدر من التعليم يتيح لها تربية الأبناء بطريقة أفضل، دون النظر إلى احتياجها ورغبتها في إكمال دراستها الجامعية،على الرغم من نبوغها وتفوقها العلمي، فتقول عن رغبتها في الالتحاق بالجامعة: " ولا أدري إذا كان جدي، وهو أستاذ اللغات الشرقية وآدابها، في كلية الآداب جامعة القاهرة اعترض على التحاق ابنته بالجامعة . أم كان الاعتراض من والدها، أم من زوجته (جدتي أسماء) التي لم تفهم حتى بعد ذلك التاريخ بربع قرن، لماذا سمح لي أبي بالالتحاق بالجامعة ! " [١]

ورقت الكاتبة كثيراً لحال أمها التي حرمت من استكمال دراستها، ولم ينصفها زوج ولا أب، على الرغم من أن أحدهما محامٍ، والثاني أستاذ جامعي، غلبت عليهما سطوة المجتمع عن أثر العلم[٢]، ولم يشفع لها اهتمامها الشديد بأولادها، ولا طاعتها ومحبتها لأبيها وزوجها، ولا تفوقها ونبوغها . كأن (مية) مرحلة وسطى بين حرمان البنات من التعليم في جيل جدتها وعمتها، وبين حصول المرأة / الكاتبة على الدكتوراة من خارج مصر، وكأنها تتسلسل في عرض أزمنة القهر . فكأن زمن الأم هو ذلك الذي فهمت فيه رؤية قاسم أمين على أنها تحرير وتعليم للمرأة ولكن بالقدر الذي يفيد الرجل زوجاً . واستسلمت الأم للظروف المجتمعية، وواصلت حياتها حتى كبر الصغار وتزوجوا ثم لم تستطع الأم أن تطرح محبتها للفن أرضاً تقول: " في السبعين من عمرها عادت إلى الرسم . رسمت لأبيها لوحة بألوان الزيت، نقلتها عن صورة فوتوغرافية ملونة، التقطت له قبل رحيله .." [٣]

ومن صفات الأم أنها خجولة كثيرة الصمت، أنيقة في بيتها وملبسها وكلامها [٤]، تتأنق في اختيار ملابسها وملابس الأبناء، وتهتم بالمناسبات

(١) الصرخة،ص١٠٨.

(٢) انظر الصرخة، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٣) الصرخة، ص ١١٠

(٤) انظر أثقل من رضوى، ص ١٧١.

الاجتماعية، والأعياد بطريقتها الخاصة . (١)

والآخر هنا كان الرجل/ زوجاً، وأباً، وكانت المرأة – كذلك –/(جدتي أسماء) التي كانت تعارض دخول الابنة والحفيدة الجامعة .

وتتدرج الكاتبة في عرض نماذج نسائية حملت أهم قضايا المرأة في مصر، والعالم العربي، لتصل إلى نموذج المرأة العاملة التي حصلت على جل الحقوق التي نادى بها دعاة تحرير المرأة، وهي أستاذتها الدكتورة والكاتبة (لطيفة الزيات)، حيث كانت شخصية ملهمة للكاتبة في كثير من أمور الحياة، اتفقت واختلفت معها، وظل الاحترام يغلف هذه العلاقة الفريدة بين التلميذة والأستاذة . وأهم ملامح شخصية هذه المرأة كما رأتها الكاتبة هو التمرد والنضال والسعي الحثيث نحو الحرية بكل صورها، فقد عانت – مثلها في ذلك مثل بنات جيلها – من التربية المتشددة، واستطاعت أن تتفلت من إحكام الأبواب والنوافذ لتلتحق بالجامعة (٢) ثم لم تكتف بذلك بل أصبحت أستاذة جامعية، وكاتبة مرموقة منخرطة في العمل السياسي، وربما تأثرت الكاتبة كثيراً بهذا الجانب في شخصية الأستاذة، تقول عنها: " تمكنت من المشاركة في النشاط الطلابي، حتى غدت قبل تخرجها مباشرة قائدة طلابية بارزة، ثم غدت لطيفة عضواً في قيادة اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلبة التي قادت مظاهرات ١٩٤٦م . " (٣)

وأشارت الكاتبة إشارات عاجلة إلى مقاطع من حياتها، مثل الزواج والطلاق، والاعتقال، واعتزالها العمل السياسي، ثم أحالت إلى السيرة الذاتية لها دون الخوض في التفصيل . وغدت الكاتبة تسرد ملامح الشخصية التي أبهرتها، وكان على الرأس منها احترافها للكتابة التي كانت حلماً يراود التلميذة رضوى، تقول عن اللقاء الأول مع الدكتورة لطيفة: " ان مجرد السلام عليها، والجلوس معها بجوارها في سيارتها، والاستماع لحديثها؛ كان مبهرًا بالنسبة لي ...، كان وجودها يؤكد أن احتراف الكتابة ذات يوم قريب، أو بعيد، حلم قابل

(١) انظر أثقل من رضوى، ص ٢٦٠.

(٢) انظر الصرخة، ص١١١.

(٣) الصرخة، ص١١١، ١١٢.

للتحقيق.." [١]

وكان من بين سماتها المميزة الملهمة للكاتبة؛ صمودها وقوتها في مواجهة مرض السرطان، وربما كانت قدوة للكاتبة التي أصيبت بالمرض نفسه فيما بعد، تقول الكاتبة عن ذلك اليوم الذي حملت فيه تقارير الأطباء عن حالة أستاذتها التي كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منها: " لا تملك سوى أن تقول لها الحقيقة، لأنها أذكى وأكبر من أن تبيع لها وهماً، ترده لك عاتبة على استخفافك بها، أحمل لها التقارير، أنقل لها برفق كلام الأطباء، نتحدث في هدوء، تنصت بهدوء. لا تقول سوى عبارة مقتضبة بصوت خافت، (أمر حزين) تشرد قليلاً، ثم تنتقل الى موضوع آخر. "[٢]

بيد أن هذه الأستاذة لديها من الأفكار والقناعات مالم يرق للتلميذة، وكانت العلاقة بينهما مثالاً يحتذى في أدب الاختلاف، وأن (الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية)، تتحدث الكاتبة عن التوتر وكتمان الغضب عند احتدام الجدل، وعن أستاذتها التي كانت على حد تعبيرها (اسم على مسمى) لطيفة، ضحوكة، ساخرة وجارحة في سورة الغضب، ولعل الكاتبة دون أن تدري تشبعت بهذه الخصال حتى صارت امتداداً لأستاذتها، كما اعترفت بتوترها وكتمانها الغضب، والهدوء المعروفة به بين الزملاء والتلاميذ، تقول الكاتبة واصفة هذه العلاقة: " بدا لي أننا ندّان . وكان هذا صحيحاً بمعنى أننا نتواصل، ونتفاهم، ونتناقش، ونختلف أو نتفق، كأنها لا تكبرني بثلاثة وعشرين عاماً . ندية طريفة أو سخيفة، أو ربما ليست كذلك؛ لأن ما فيها من تناقض يعكس علاقة مركبة: أمومة، بنوة و صداقة، وكشف حساب معقد بين جيلين تعاقبا على تاريخ مصر. " [٣]

ولعل السبب في عرض هذه الشخصية بات واضحاً؛ انبهار الكاتبة بقدرة المرأة على الصبر والصمود، واقتحام العمل السياسي، والتأثير في الواقع المجتمعي، والثقافي، وقدرتها على القيام بدورها في المجتمع، ذلك الدور الذي

(١) الصرخة،ص ١١٣.

(٢) الصرخة،ص ١١٥.

(٣) الصرخة، ص ١١٤.

يعزز دور الرجل و يسانده .

وترى الكاتبة من وراء حجاب أن تميز المرأة في هذا المضمار يكمن في تحديها، وصمودها في وجه الظروف المجتمعية القاسية، وقدرتها على تجاوزها، والانطلاق من خلالها، فالكاتبة الدكتورة لطيفة أخفقت في الحب، والزواج، ولكنها نجحت في تحرير ذاتها من قيود الأسرة، والزواج غير الناجح، وانطلقت نحو أهدافها، بغض الطرف عن مدى صوابيتها، ولم يكن لقصة الدكتورة لطيفة بطل / آخر، لأن الكاتبة اكتفت بما كتبته الأستاذة عن حياتها في سيرتها الذاتية بيد أنها تناولت نموذجاً فريداً للمرأة العصرية عامة، والأستاذة الجامعية خاصة، ولم تزل تلهج بذكر محاسنه، في صفحات سيرتها، تتركه، وتعود إليه، وهو نموذج أستاذتها الدكتورة (فاطمة موسى)، وكان مما أبهرها في هذه الشخصية، الاتزان، الأمومة، العلم، العمل الجماعي والخدمة المجتمعية، والأخلاق المثالية، تقول عنها: " كان يتبعها ثلاثة من الصغار، صبية، وطفلان وجهها، ثوبها، مشيتها، أعني طريقة دب قدميها على الأرض، والصغار في ذيلها، رساله مكتملة.. لاحقا ستدرس لي.. وسوف تدهشني معارفها، وخبراتها، وأسفارها، وامتزاج تلميذة أبدية فيها بالأستاذة، وتداخل حسها العملي بمثالية ما، لا تخلو من براءة ." [١]

تعود الكاتبة لنموذج المرأة البسيطة، التي لم تنل قدراً من التعليم، وانقطعت بها السبل بموت الأب والأم والزوج والابن، فاضطرت إلى العمل (مربية) أو (خادمة) في أحد البيوت، ولكن نموذج المرأة لم يحمل لطفاً، وصمتاً، وحزناً عميقاً كما كان الحال مع الأم أو العمة عزيزة، وإنما كان للمربية (حميدة أو أم جلال) جمال أنثوي من نوع آخر . فهي تلك المرأة الصارمة، الحازمة، قوية الشخصية، سريعة الغضب، وكلها صفات يجدر معها التخلي عنها من قِبل أسرة الكاتبة، ولكن ما حدث هو عكس ذلك، حيث غدت المربية (حميدة) بمثابة الأم الثانية للكاتبة وأشقائها، بل غدت فرداً من أسرة المحامي (مصطفى عاشور)، يذهب معها لأداء رحلة الحج التي طالما كانت

(١) الصرخة،ص ٨٤.

حلماً يراودها، ولما انقطعت الأخبار بينها وبين أبناء أختها، وكل معارفها، نظراً لشعورها القوي بالأمان داخل أسرة الكاتبة – عندما وافتها المنية؛ قرر والد الكاتبة دفنها بجوار أمه في مقابر العائلة، وعرضت أم الكاتبة مشغولاتها الذهبية للبيع حتى تتصدق عليها بثمنها . (١)

تحلل الكاتبة شخصية هذه المرأة التي تحمل بين طياتها تناقضية عاتية، كأنما تريد أن تثبت للقارئ أن قسوة المرأة وسوء طبعها أمر مكتسب بفعل الظروف المجتمعية القاسية، وربما الصفات الوراثية التي لا دخل لها فيها، بيد أنها لا تستطيع أن تمحو معالم الجمال الأنثوي الذي يقهر كل ألم، ويشق طريقه في جبال الحرمان والقسوة حتى يعلن عن وجوده . تقول عنها: " امرأة سمراء، تُعلمك ما أن تلتقي بها أن والدتها فلاحة من الدلتا، ووالدها من عسكر الهجانة، وكانوا من السودانيين الأشداء، جاءت حميدة إلى بيت المحامي؛ لتساعد زوجته في شئون البيت، وتربية الأطفال، وكان سبق لها الزواج وإنجاب طفل لم تكتب له الحياة، وإن منحها اسمها (أم جلال) ." (٢)

كانت المرأة شديدة المحبة والاحترام لذكرى والدها، حتى غيرت رؤية الكاتبة السلبية عن عسكر الهجانة، فتقول: " ولأن كل فتاة بأبيها معجبة ظل لسلاح الهجانة ارتباطات إيجابية في وجداني، منقولة عن توقير حميدة لأبيها، ومحبتها له .." (٣)

وكانت تجمع بين الشدة واللين، بطريقة تصعب على كل إنسان، فضلاً عن النساء، استطاعت بسماتها الشخصية أن تجعل لنفسها مكانا داخل الأسرة، بل وسلطة تعلو سلطة الأم، تقول الكاتبة: " لم تكن مجرد امرأة تساعد في شؤون المنزل، وتربية الصغار، كانت صاحبة السلطة في البيت، ربما لقوة شخصيتها، وسرعه غضبها، أو لأنها مع مرور الزمن، غدت أماً ثانية لنا، نحبها، ونطيعها، ونحرص على رضاها.." (٤)

---

(١) انظر الصرخة، ص ١١٨.

(٢) الصرخة، ص ١١٦، ١١٧.

(٣) الصرخة، ص ١١٦.

(٤) الصرخة، ص ١١٧.

وقد تخطت العلاقة الخوف إلى الحب، والاحترام، وتجاوزتهما إلى التفنن في إرضاء كل من الطرفين للآخر، حتى ليخيل إلى القارئ أن الكاتبة تحدثه عن شخصية أخرى غير التي استهلت بها الحديث، تقول: " نقدم لها هدية عيد الأم، ونقدم لكل منا هدية في عيد ميلاده . أو تمنح صغارنا حين تزوجنا، وخلفنا .ألعاباً تشتريها لهم ...، كانت كريمة، تنفق في الغالب راتبها كله، على تلك المفاجآت التي تسعدها، وتسعدنا ." (١)

وآخر النماذج النسائية هو نموذج جدتها لأبيها، السيدة (فاطمة صالح)، وهي تشترك مع النماذج السابقة في تلك القوة النفسية للمرأة، والسعي خلف أسباب الاستقرار النفسي، وطرق كل أبواب السعادة المتاحة، والرضا بأقل أسبابها . ففي تدرج واضح لحصول المرأة على بعض من حقوقها تبدأ الكاتبة بحديثها عن ابنة أخيها العصرية التي تقود السيارة، وتستعين بمربية أسيوية، ثم تختم بنموذج الجدة فتقول: " ولدت جدتي بعد عامين أو ثلاثة من قرار الخديوي إسماعيل تجارة الرقيق في مصر . كانت محظوظة لا بسبب ذلك القرار، بل لأنها كأمها وجدتها من قبلها لم تولد في بلاد الشركس، ولا في بلاد السودان، لم يختطفها أحد في طفولتها . لم ينتزعها من أهلها شخص غامض لا تذكر ملامحه . لم تتناقلها أيدي النخاسين أو السادة . " (٢)

ثم تتحدث عن حال الجدة وأحوال نساء هذا الزمن، حيث كن (ربات الخدور)، لا تخرج إحداهن من بيت أبيها إلا إلى بيت زوجها، ثم إلى رحلة حج أو زيارة للطبيب ..ثم هي لا دور لها في المجتمع غير إنجاب الأطفال، تقول: " لا تغادر النساء البيت أبدا . يقمن بشئونه كافة، ويلدن بشكل دوري أطفالاً يموت أكثرهم ...أيام جدتي كان الخروج غير مقبول، بل غير معقول ." (٣)

رأت الكاتبة أن هذه العزلة تركت أثراً نفسياً سيئاً في نفس جدتها، تبين من فرط البكاء، وشدة الحزن عندما تودع زائريها فتقول: " بقي الخروج من

(١) السابق، والصفحة.

(٢) الصرخة، ص١٢٢.

(٣) الصرخة، ص ١٢٢.

البيت، حتى وهي تسكن القاهرة؛ حدثا كبيراً تضطرب له المشاعر، وتنهمر الدموع . تودع أختها، وزوجة عمي، وعمتي حين يأتين لزيارتنا بالدعوات والدموع، وما بدا لي طريفاً، وغريباً وأنا طفلة، غدا مفهوماً لي الآن." (١)

ثم تتحدث عن جانب آخر من هموم النساء، وقد تقدمت بهن السن، فتتحدث عن غربة الجدة في بيت ابنها، وعلاقتها بزوجة الابن والأحفاد، وصمتها الطويل، وانشغال الجميع عنها، ومواجهة الصراع العنيف الذي يتنازع النفس بين الرغبة في الموت، والحرص على ما تبقى من الحياة، وبين استرجاع الذكريات ومقاومتها ومغالبتها، فتقول: " أن هذه السيدة التي أشاركها غرفة النوم، تشعر بالغربة . لا لأنها تقدمت في العمر، وشحب نور عينيها، وثقل سمعها، بل لأنها افتقدت كل المفردات الأليفة في حياتها، لم تعد مسئولة عن إعداد الطعام، وتربية الصغار، وابنها مصطفى المحامي تأخذه أشغاله، لا تلتقي به إلا على مائدة الطعام ساعة الغداء، وزوجة الأستاذ (أمي) هادئة، كلامها قليل . لا أذكر جدتي تتحدث، إلا عندما تأتي عمتي لزيارتنا .." (٢)

وعلى جانب آخر من شخصية الجدة، تجد طباع المرأة الريفية التي تبالغ في التستر، وتستقبل الأعياد والمناسبات الدينية، والاجتماعية بقلب طفلة، تمارس طقوسها المعتادة لا يثنيها غربة، ولا وحدة، ولا شواهد الشيب، تقول الكاتبة: " لم يكن رمضان جدتي شهراً من شهور السنة، بل حبيباً تنتظره على مدار العام ." (٣)

وتقول: " كانت تكتحل في سبت النور، وتبتهج لسقوط المطر في الغطاس، وفي ليلة شم النسيم تضع ضمة من البصل الأخضر تحت وسادتها، وتنام ..ثم تبكر صباحاً لتطلب من أحد أحفادها، أن يلقي بالبصل الأخضر في النيل . تنتهي صلواتها بالدعاء للأبناء والأحفاد .." (٤)

وهكذا ..نوعت الكاتبة في اختيار عدد من النماذج التي كان الرابط بينها

---

(١) الصرخة،ص١٢٣.

(٢) الصرخة،ص١٢٥.

(٣) الصرخة، ص ١٢٤.

(٤) الصرخة، ص ١٢٤.

– فضلاً عن واقعيتها وصدقها – تضافر الصبر والصمود مع الحب الصادق والتفاؤل والقدرة على العطاء، فاستطاعت كل منهن أن تخلق لنفسها عالما خاصا تسعد به وفيه، بعد أن أخفقت في صناعة العالم الذي طالما تمنته كل امرأة، واستعصى عليها .

لعل السؤال البديهي الآن: أين الرجل في السيرة الذاتية للكاتبة ؟ وهل ثمة بعض الصور القلمية لبعض الرجال في حياة الكاتبة كما كان الحال مع النساء ؟ وقد توقعت الكاتبة هذا التساؤل المشروع، وطرحته، وراوغت في الإجابة عنه من خلال إثارة الفكاهة، واستمالة القارئ بها، فتقول: " أعرف يا عزيزي القارئ أنك تستغرب، أو ربما تتزعج من أنني أفردت فصلين للكتابة عن نساء أثرن في تكويني، كأن عالمي خال من الرجال . أكاد أسمعك (تبرطم): أين الرجال في نصك ؟ هل تحاولين إرضاء النسويات من القارئات ؟ حلمك يا سيدي القارئ، في الدنيا آلاف الكتب بل عشرات الآلاف تغيب منها النساء، أو يظهرن فيها بما لا يرضيهن في الخلفية أو الهامش ...وإن مالت الكفة قليلاً، ولو مقدار خردلة في صف النساء، تمتعض، وتعترض ؟ "[١]

ساقت الكاتبة رؤيتها لقضايا المرأة من خلال النص السابق، وحاولت أن تقدم بعضًا منها بأسلوب مختلف في سيرتها الذاتية، فأقحمت بعض السير الغيرية في سيرتها ..آخر ما كتبت قبيل وفاتها، وتحاول إقناع الرجل بأسلوب فكه، وتناقشه وتحاوره، ثم تخاطب المرأة كذلك في محاولة طريفة لأن تضع الحرب أوزارها بين المرأة والرجل في الكتابة الإبداعية، فتقول:

" أنتقل الآن إلى القارئة؛ لأعلمها أنني أتعجب من صمتها . كنت أتوقع أن تتدخل في النقاش، وتساندني في مواجهة القارئ، لأنني في النهاية فعلت ما فعلت انحيازاً لها .." [٢]

فسوت بين الجنسين في السخط والانتقاد، كأنما تقول بأن التعصب للجنس، والتسرع في الأحكام النقدية هو أحد أسباب ظهور النسوية، وظهور حالة الاستقطاب الفكري بسبب المرأة كاتبة ومكتوباً عنها .

---

(١) الصرخة،ص ١١٩.

(٢) الصرخة،ص١٢٠.

ولكن الكاتبة إذا تفلتت بذكاء من السؤال المطروح والمشروع: أين الرجل في سيرتها الذاتية؟ فلا أستطيع، وأنا الباحثة التي تمارس النقد الأدبي أن تتجاهل . لا سيما وقد ألزمتُ نفسي منذ العنوان، بأنني سأتناول (الآخر)، وليس لي أن أتعلل – كما تعللت الكاتبة – بأن تناول الرجل يعد (سِمتْرِيّة) فجة تفسد النص النقدي، بل إنني بحاجة إلى هذه السمترية، حتى يستقيم البحث، وحتى أتجنب الوقع فيما كنت منه أحاذر، وأكون بمنأى عن اتهام حقيقي بانحياز امرأة لإبداع امرأة، كتبت عن المرأة !

وإن لم يكن للرجل وجود قوي في السيرة يدنو من وجود المرأة، فإنه يظهر مختفياً في السير الغيرية للمرأة، فقصص النساء –في الأغلب– أبطالها، وصانعوها هم الرجال، وقد أشرت قبل عن نموذج الزوج في حديثها عن السيدة (سكينة البرغوثي)، وهو نموذج للزوج المثالي، وكذا نموذج الأخ في الحديث عن عمتها السيدة (عزيزة) ممثلاً في أبيها الذي كان باراً بها، و أعطاها ميراثها، وهناك نماذج سلبية لم ترد الخوض فيها لأن أصحابها شخصيات حقيقية لا يحق لها الخوض في حياتهم، مثل زوج عمتها (علية) الذي طلقها، وحرمها من أطفالها، ومثل زوج الدكتورة (لطيفة الزيات) الذي اكتفت بالإحالة إلى سيرتها الذاتية فقط . وهناك صور قليلة للآخر عرضت في خضم المواقف والأحداث، ولم تعمد الكاتبة الحديث المفصل عنها، فلم ترد أن تعلي – كغيرها من الكاتبات – نبرة الهجوم على الآخر / الرجل، ولم تتخذ من سيرتها الذاتية سبيلاً لتصفية الخلاف، ربما لطبيعة تكوينها وأخلاقها، وربما قصدت أن تكون بمنأى عن الشقاق الذي يضرب بجذوره في الواقع المجتمعي والثقافي .

ظهرت صورة الأب والزوج من خلال جدها لأبيها (الحاج محمد عاشور) التاجر الريفي الذي لم يسمح لزوجته أن تغادر بيتها قط؛ إلا لأداء فريضة الحج، وكذا ابنته التي لم تغادر بيت أبيها إلا إلى بيت زوجها، ولم تحصل على شهادة جامعية كما حصل إخوتها الذكور عليها.[1]

وتأتي صورة أخرى للأب ممثلة في جدها لأمها، الدكتور، والأستاذ

(١) انظر الصرخة، ص ١٠٠، ١٢٣.

الجامعي، والسفير، الذي اكتفى بحصول ابنته (مي) على قدر الثانوية، ثم رفض التحاقها بالجامعة على الرغم من تفوقها .[١]

وثمة صورة مثالية للأب والزوج تمثلت في الشاعر (مريد البرغوثي)، الذي لم تتحدث عنه منفردا، بل بين الأحداث حسبما يستدعي الموقف، كان مريد ذلك الأب الذي تمتزج فيه الأبوة الحانية بالصداقة الحميمة التي يحفها التوقير والإجلال، وقد تحدث كثيرا عن علاقته بابنه (تميم) في سيرته الذاتية .[٢]

أما الصورة التي تستحق التوقف، هي صور الأب والزوج الممثلة في شخصية المحامي السيد (مصطفى عاشور) والد الكاتبة، التي لم ترد أن تفصح عن علاقتها به، ولكنها أبانت عنها من حيث أخفتها، وتفلتت منها بعض اللمحات الشخصية له، في خضم الأحداث، على الرغم من تحفظها، وكانت هذه اللمحات تحمل معاني مختلفة متباعدة تظهر حرص الكاتبة على إخفاء مالم يرقها من سمات الأب، من حيث كونه أباً أو زوجاً . وأول ما يلاحظ هو كثرة الحديث عن الأم، وندرته عن الأب، كما أن حديثها عن الأم يفيض محبة؛ لنجد أن الكاتبة لم تكن ككل فتاة بأبيها معجبة، ولم ترد أن تبوح بأسباب ذلك؛ فتبدى ذلك ملامح شخصيته التي ظهرت على استحياء في إشارة عجلى نحو الحديث عن الأم، فقد انعكست طباعه الشخصية على زوجته،فتأثرت تأثيراً سلبياً، فلم يرد أن تلتحق بالجامعة لإكمال تعليمها، وكانت الأم كثيرة الصمت، قليلة الحديث، ويتبدى ذلك من صفات الزوج، فهو الأب العنيد الصارم، الذي لا مكان للعواطف والمشاعر لديه، يجيد التخطيط لحياته، بحسابات العقل التي لا دخل لها في المشاعر والعواطف، تقول في أول سطور السيرة الذاتية :

" مال الشاب فجأة والتقط حجراً جيرياً، كتب به على أحد الجيران: (سأسمي ابني طارق)، كان يقصد بيتاً بعينه في أطراف ضاحية حلوان ..لم

(١) الصرخة،ص ١٠٨، ١١٠.

(٢) انظر أثقل من رضوى، ص ٦٤، ٦٨، ١١٣.

يقل لي إنه كان ينوي في ذلك اليوم مفاتحة الدكتور عبدالوهاب (جدها لأمها) في رغبة في الزواج من بنت من بناته .." [١]

ربما تحمل هذه الافتتاحية لسيرة الكاتبة، كثيراً من سمات الأب، وحياة الأسرة، وبقليل من تأمل في سيميائية هذه الفقرة نلحظ الآتي:

. ضاحية حلوان، كانت ذلك الحي الراقي المكون من مجموعة بيوت تحفها الحدائق، والأسوار الحجرية، فهي بالمفهوم العصري حي خاص بالطبقة العليا من المجتمع في ذلك الحين مما يعكس طموح الأب وحرصه على مصاهرة عائلة كريمة لها من الوجاهة الاجتماعية نصيب .

. (سأسمي ابني طارق) جملة توحي بالتخطيط المسبق لكل أمر من أمور الحياة، وتوحي بالثقة المفرطة في الذات، فهو لم يزل في طريقه خاطباً، ولكنه يتحدث حديث المتيقن من إتمام الزيجة، كما توحي بالرغبة في إنجاب الذكور .

. (الدكتور عبدالوهاب) اختيار والد الزوجة أستاذاً جامعياً، وسفيراً لمصر في دولة باكستان، يؤكد طموح الأب، ورغبته في مصاهرة أسرة متميزة .

. (اختيار بنت من بناته)، أشارت إلى أن جدها لأمها أنجب ست بنات، كانت (مية) – أمها – إحداهن . واختيار الشاب لإحدى البنات دون تحديد، يؤكد فكرة التخطيط المنطقي، وغلبة العقل على العاطفة، فيختار الحي والعائلة والزواج من الأسرة فحسب .

بينما كانت الأم كما وصفتها متفوقة في دراستها، تريد إكمال دراستها الجامعية، محبة للرسم، والشعر، وفنون التطريز، والموسيقى، وتجيد العزف على بعض الآلات الموسيقية، فيتضح من هذه الفروق بينهما؛ تنافر الطباع بين أنثى حالمة ومبدعة مرهفة الحس، وبين زوج ريفي صارم، يحسن التفكير والتخطيط لحياته، بحسابات العقل وحده . تقول عنه أنه اشترى شقة في أرقى الأماكن ثم بيتاً من حر ماله . [٢]، وتقول أنها لم تره يبكي إلا مرة واحدة: " المحامي الذي لم أره يبكي طول حياتي، شاهدته يبكي حين زارنا قريب لنا

(١) أثقل من رضوى، ص٥، ٦.

(٢) انظر أثقل من رضوى،ص١٣٠.

يعمل في مجال المحاماة، وقال له: تفتقدك المحكمة، تقول: أين مرافعاته البليغة . انتحب . بعدها بأسبوعين، رحل . " (١)

وانعكست هذه الصفات على الأم، التي انقطعت مجبرة عن ممارسة كل الأمور التي تحبها، تقول الكاتبة: " انقطعت على مضض ربما، لكي تخلف أطفالاً يكبرون، ويخلفون بدورهم أطفالاً، فيعمرون البيت الذي اشتراه المحامي .." (٢)

وفي كلامها السابق إشارة إلى طريقة حياة الأب الريفي الشرقي الذي لا يرى في المرأة إلا أمًا تنجب، وتربي كثيراً من الأبناء، ولا يحق لها التفكير فيما يسعدها مطلقاً إذا كان خارج نطاق الأسرة وخدمتها . ويوحي أسلوب الكاتبة بحزن مقيم من أحوال المرأة في الشرق، كما يوحي بارتباط فكرة الإعمار لدى الشرق، بكثرة الإنجاب فحسب.

ويبدو أن شخصية الزوج (مصطفى عاشور) لم تختلف عن شخصية الأب (مصطفى عاشور)، فلم يستشعر القارئ بقوة العلاقة بين الكاتبة وأبيها، فدائما ما تذكره بالمحامي، مما يوحي بالفجوة العميقة بينهما . فضلاً عما توحيه اللفظة من الصرامة، ثم وصفت نفسها بأنها عصبية وعنيدة بالوراثة، ولم تذكر أبداً شيئاً من توتر الأب وعناده، ولكم ظل الجدل محتدماً بينهما في أهم قرارات الحياة، فذكرت أنها حاربت حتى يوافق والدها على نقلها من المدرسة الفرنسية في طفولتها (٣)،ثم حاربت حتى يوافق على زواجها، (٤)، والحال نفسها في أمر موافقة الأب على رحلتها العلمية إلى الولايات المتحدة، للحصول على الدكتوراة، (٥)

ولكنها لم تغفل الحديث عن بعض الجوانب الإيجابية في شخصية الأب، فهو ذلك المحامي المحب لعمله، المهتم به، المحب للغة العربية والشعر

(١) أثقل من رضوى، ص ١٣٠.

(٢) أثقل من رضوى، ص١٣٢. وينظر الصرخة: ص١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

(٣) انظر أثقل من رضوى، ص ٢٦١، ٢٦٨.

(٤) انظر الرحلة، ص ١٥.

(٥) انظر الرحلة، ص ١٦١.

العربي، الطموح، المخلص في كل ما يقوم به، البار بأمه، وإخوته [١].

ويبدو أن انحياز الكاتبة لقضايا المرأة دون ضجيج النسويات؛ كان واضحاً في الرواية لدى الكاتبة، " وبشكل عام تأخذ روايات رضوى عاشور النساء كبطل، وتصور قصصاً من بعد أنثوي، لكنها ليست ناشطة نسائية . " [٢]

يتضح مما سبق موضوعية الكاتبة وحيدتها، والتناول الإنساني لكل شخصية دون التعصب لجنس، ناقشت نوازع الخير وغيره بكل تعقل، لم نجد صراعاً عنيفا بين الأنا / المرأة، والآخر الرجل، ولم يكن الرجل هو المذنب دائما في روايتها . ولعل هذا هو سر تميزها .

(١) انظر أثقل من رضوى، ص ١٣٠. وانظر الصرخة: ص١٠٠، ١١٨، ١٠٢، ١٢٣، ١٣٠.

(٢) الشخصيات في رواية (حجر دافئ) لرضوى عاشور، دراسة تحليلية، للباحثة / نسمة ياني، ص٨٢٠، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد السادس والثلاثون، مايو ٢٠٢٣م، – جامعة الأزهر – مصر.

**المبحث الثاني:**

## الأنا / الشرق، والآخر / الغرب

مدخل:

ذكرت في التمهيد أن الأقدار قد ساقت للكاتبة رحلتين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أولهما:علمية، للحصول على درجة الدكتوراة، والثانية: علاجية قبيل وفاتها، فضلا عن عشرات الرحلات إلى أوربا، حيث كانت تقضي عطلة الإجازة الصيفية مع زوجها الذي نفي من مصر بعد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، إذا وضعنا هذه الرحلات إلى الغرب مع الأخذ في الاعتبار بأن الكاتبة أستاذة جامعية متخصصة في الأدب الإنجليزي، وناقدة، وكاتبة قصة، وروائية؛ نجد أن رؤيتها للأنا / الشرق، والآخر / الغرب، روية جديرة بالبحث .

ومن خلال شخصية الكاتبة التي جمعت بين أمور سبق الحديث عنها قد يستنتج القارئ من هذه المقدمات؛ توقع رؤية (الآخر) بإعجاب وانبهار، والحق أنها خالفت التوقعات، وكانت رؤيتها للآخر/ الغربي موضوعية، محايدة، لم تستطع أن تخفي إعجابها ببعض الأمور، ولم تترك فرصة لنقد الآخر، ونقض أفكاره، وتعرية مساوئه إلا وأحسنت استخدامها . بدأت هذه الرؤية في طفولتها عندما تمردت على المدرسة الفرنسية التي اختارها والدها، وكرهت مناهج التعليم فيها، وتعصب القائمين عليها لبلادهم ولغتهم، وحربهم على اللغة العربية، فلم تزل بأبيها حتى تم نقلها إلى مدرسة مصرية . (١)

وفي مستهل كتابها (الرحلة)، أعلنت منذ البدء أنها لم تذهب للحصول على الدكتوراة لاقتناعها بتميز الجامعات الأمريكية، وإنما كان السبب في الرحلة؛ هو دراسة الأدب الأفرو أمريكي، فقالت: " لم أكن أحمل معي صورة الشيخ المعمم، ذي الوجه الوسيم ٠ تعني (الشيخ رفاعة الطهطاوي)، ... كرفاعة كنت في طريقي إلى بلاد بعيدة عنا غاية الابتعاد؛ لتحصيل المعارف، ولكني لم أكن مثله ذاهبة بحياد من لا يعرف شيئاً مما هو مقبل عليه، ولا

(١) انظر: أثقل من رضوى، ص ٢٦٣، وانظر التمهيد في هذا البحث.

كنت مثل أجيال لحقته من مبعوثين، راحوا وعادوا مدلهين في عشق الأنوار الإمبريالية. " (١)

والكاتبة لم تعمد أن تصف الآخر، ولا رؤيتها له، ولا الموازنة بين الأنا/ الشرق، والآخر/ الغرب، إلا في خضم الحديث عن بعض المواقف في سيرتها الذاتية، وتناولت عرضاً الحديث عن: السياسة، والتعليم، والصحة، والحرية، والمجتمع، والفنون، وقد استطعت – بعد طول نظر– أن أضم الرؤية للأنا والآخر في الأمور السابقة، على النحو الآتي:

السياسة الغربية

تحدثت عن الآخر ممثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية التي تسلمت راية الهيمنة الاستعمارية من القارة العجوز. وكما سخطت على السياسة في مصر والعالم العربي، ورفضت، وسخرت، وانتقدت بالقدر نفسه سياسة الآخر/ الأمريكي، فتسخر من تدخل أمريكا السافر في شئون البلاد النامية، تحت أسماء مكذوبة، نحو (حفظ السلام)، فتسرد موقفاً حدث مع زميلة لها في غرفة مجاورة أتت لتشاركها تناول القهوة، أثناء رحلة حصولها على الدكتوراة، فتقول: " تعرفني بنفسها بحماس عن عملها كمتطوعة (بفيلق السلام) في تايلاند . وقهوتك أيتها المرأة الأمريكية الشريرة أو البلهاء تقف بحلقي كما حديثك عن مهمتك النبيلة في نشر الحضارة في ربوع الغابة الآسيوية . " (٢)

كما تتحدث عن الجريمة الأمريكية المركبة في سبعينيات القرن الماضي، وهي حرب فيتنام وهزيمة أمريكا، ثم التضليل الإعلامي والترويج

(١) الرحلة، ص٥. ولعل هذه النظرة الحيادية أو الأقرب إلى الدونية للآخر/الغربي؛ انسحبت على دراستها الأكاديمية، وتحدثت في كتابها: الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق: الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث.) تقول فيه ناقمة على الانبهار بالثقافة الغربية، ودعوات الحداثة: " هل كانت الحداثة التي استقرت عليها النخبة كفيلة بتحديث فعلي، هل كانت هذه الحداثة القائمة على القطيعة الثقافية ممكنة ؟ هل كانت القطيعة شرطا من شروط هذه الثقافة ؟ أم كانت القطيعة عنصراً أساسياً من عناصر إعادة إنتاج الهيمنة.." الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق، د رضوى عاشور، دار الشروق – مصر ، ص١٤، ط٢/ ٢٠١٢م.

(٢) الرحلة، ص١٠٨.

للكذب لديهم بأن أمريكا تهتم بحقوق الإنسان، وتحارب لتنشر السلام، ويعم الخير الأرض، فتقول: " سقط العلم الأمريكي وسط أنقاض الحرب الفيتنامية، وكان على المؤسسة أن تتكر تلك الصورة، وأن تقدم بدائل لها،ترضي الغرور الوطني، وتكرس الأوهام عن الذات، هكذا راح الإعلام يتغنى بأمريكا الجميلة، و بحلمها النبيل، و بالأم الإمبريالية العطوف.." (١)

وفي صورة رمزية لتناقض السياسة الأمريكية التي تدعي أنها راعية الحرية في العالم، وتصدر رمز الحرية كأحد أهم معالمها السياحية، ثم هي تنتهج سياسة القمع، والعنف، والاستعمار مع كل من هو أضعف منها، فتصف الكاتبة رحلتها السياحية، لرؤية تمثال الحرية مع زوجها (مريد) ثم يختفي التمثال في أفق الضباب، وكأنه وهم يتيه في خضم سياسة القمع، وعن ناطحات السحاب التي لم تكن مبهرة، بقدر ما كانت مخيفة، فتقول: " لا أرى تمثال الحرية ! قال مريد . أجلْت البصر في المكان، ثم أخرجت من حقيبتي خريطة المدينة، أبحث عن مكان التمثال،..قلت مشيرة بيدي إلى اللاشيء: أعتقد أنه في هذا الاتجاه، إنه غارق في الضباب على أي حال ! " (٢)

وتقرأ الكاتبة مقالاً على زوجها نشر في الصحف بمناسبة عيد الاستقلال الأمريكي، والخطاب للقائد الأفرو– أمريكي (فريدريك دوغلاس) القائد الذي ولد عبداً، وعلم نفسه، واشترى حريته، وظل مدافعاً عن حقوق العبيد، جاء فيه: " قولوا معي إنه في البربرية المقززة، والنفاق الفاجر، تتربع أمريكا على العرش بلا منافس . و(تعلق الكاتبة): " شهد شاهد من أهلها ! بل قل شهد ملدوغ من حجرها ! " (٣)

وكثيراً ما جاهرت بعدائها الشديد للسياسة الأمريكية بسبب دعمها الدائم، والجائر للكيان الصهيوني، ودولته المزعومة، وكانت غضبة الكاتبة لفلسطين، ولبنان؛ لا تقل عن غضبتها لمصر، وعندما سافرت إلى أمريكا

(١) الرحلة، ص ١١٤.

(٢) الرحلة، ص ١٢٩.

(٣) الرحلة، ص١٦٥، ١٦٦.

عام ١٩٧٠م، وشكلت في أثناء رحلتها العلمية مع مجموعة من الطلاب من مختلف الجنسيات والاتجاهات ائتلافاً أطلقوا عليه (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، والعربي)، تقول: " لقد نجح هؤلاء الصهاينة في إثارة قلق عميق في نفسي، هل ينقضّ أحد منهم عليّ بعصا غليظة؛ حتى يحطم رأسي، ...هذا المكان الأمريكي لا يثير في النفس الأمان ." (١)

ثم تتحدث بمرارة، وألم، وسخرية عن طبيعة العلاقات المصرية الأمريكية قبل سفرها وبعده، فتقول بأن العلاقات كانت منقطعة قبل سفرها، وحصلت على التأشيرة من خلال سفارة إسبانيا القائمة برعاية المصالح الأمريكية، ثم تغير الموقف بعد نصر أكتوبر، وعادت العلاقات في الأسبوع نفسه التي عادت فيه الكاتبة إلى مصر، قبل معاهدة السلام بين مصر، واسرائيل، تقول: " في الأسبوع نفسه، وصل إلى القاهرة أيضاً (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكي؛ لترتيب الأوضاع داخل البيت المصري . " (٢)

وتضيف الكاتبة أنه تم غلق إذاعة فلسطين التي يعمل بها زوجها، وتم اعتقاله، وترحيله من مصر في صبيحة اليوم التالي لزيارة الرئيس السادات لإسرائيل . (٣)

**العادات المجتمعية:**

نفرت الكاتبة نفوراً شديداً من تردي الأخلاق في المجتمع الأمريكي، وسخرت كثيراً من أدواء المجتمع الأمريكي الذي يعاني الانفصام مع الصورة المثلى التي تصدرها السياسة الأمريكية للعالم، وقد دار حوار بين الكاتبة وزوجها في أحد الفنادق بأمريكا، بعد أن أزعجهما صوت سيارات النجدة، وأخذا يتبادلان التوقعات حول الحادثة التي استدعت النجدة، يتبدى في حوارهما

(١) الرحلة،ص ٣٣.

(٢) الرحلة، ص ١٧٣.

(٣) انظر، الرحلة، ص ١٧٤. وظلت على موقفها من الكراهية، والمجاهرة بالرفض القاطع للكيان الصهيوني، والتطبيع معه، والسلام معه، أبدت ذلك في كثير من المواقف في كتاب (أثقل من رضوى) كلما سنحت لها الفرصة، انظر: أثقل من رضوى، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٤٤

شيء من الاعتياد على مثل هذه الجرائم التي تحدث في كل أنحاء العالم، ولكن أمريكا هي الأكثر من بين دول العالم، مثل: العثور على شخص قتيل! – أو معركة بالزجاجات وقعت في حانة، أو سيارة سرقت! أو سرقة مشغولات ذهبية أو ماسية من سيدة ثرية، وكل هذه الجرائم تحدث في مختلف دول العالم، ولكن الجرائم التي ظهرت في هذا البلد تتعلق بالإنسانية، والعنصرية، وأمور تخص المجتمع الأمريكي، وسياسة البلد الداخلية، والخارجية، تقول الكاتبة بعد أن خمنت هي وزوجها عدداً من الجرائم: " ..هذا يحدث في كل مكان، استهوتنا اللعبة . شباب سود اقتحموا متجراً، وحطموا كل ما فيه! امرأة بورتوريكية فقيرة قتلت نفسها ! أبلغ الجيران عن رائحة كريهة تنبعث من مسكن جارهم العجوز الذي لم يره أحد منذ أيام ! شرطي أطلق الرصاص على شاب أسود ! فتاة أعتدي عليها جنسياً ثم ضربت حتى الموت ! عشرة شباب سكروا ثم قاموا بانتحار جماعي ! ..هذه لعبة كئيبة، سأقوم لأتحمم .." (١)

ومن الأدواء التي تحدثت عنها، التعالي والغرور في المجتمع الأمريكي دوليًا وعلى مستوى الأفراد فتضجر من زميلتها بالغرفة، التي تتضح كلماتها بالعنصرية البغيضة، فتقول:" كانت الفتاة الجنوبية البيضاء خائفة مني، متوجسة من لون بشرتي، من خلفيتي الدينية، من جنسيتي، كانت باختصار خائفة من مجرد أنني أنا، وأنني موجودة في هذا العالم. " (٢)

وتنتقد نظرة الاستعلاء نفسها في السياسة الأمريكية، فتسخر من تلك اللافتات المعلقة على البنايات، تلك التي يشار فيها أن هذا المبنى أعلى من كذا ..وأكبر من كذا ..ولم تنبهر بتصميم مبنى المكتبة عندما دخلته للمرة الأولى، وإنما قالت معلقة على ضخامته: " الولع الأمريكي بـ(أفعل) التفضيل ! ... من المؤكد أنهم ليسوا بحاجة لمكتبة من ستة وعشرين طابقاً، ولكنهم بحاجة لأن يقولوا لدينا أعلى مكتبة في المنطقة .." (٣)

(١) الرحلة،ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) الرحلة،ص ٢٣، ٢٤.

(٣) الرحلة، ص ٦٩.

وتسخر من المفارقة الهائلة بين اهتمام المجتمع الأمريكي بالعلم والعلماء، ثم الترويج للجهل والخرافات في الوقت نفسه، فتسخر من مشهد عبثي شاهدته في الشارع الأمريكي، حيث تجمع عشرات الآلاف من البشر لاستقبال (الغورو)، ذلك الرجل الهندي الذي يتجمع حوله المريدون في طقوس غريبة لا تختلف كثيراً عن توسل بعض أهل الشرق لساكني الأضرحة من الصالحين، في مظاهر تشبه الشعوذة تحت ستار التصوف، وغيره من الأفكار التي شوهت؛ لانتشار الجهل بين العوام . فتستدعي الكاتبة قصيدة الأرض الخراب لإليوت ثم تقول: " أي فروع يا ترى سوف تنمو من هذا المشهد الأمريكي التعس ؟ يدوي صراخ مفاجئ، ويقفز الناس واقفين، ويفقد البعض وعيهم . ظهر الغورو . " (١)

ولكن الكاتبة لن تسنح لها فرصة لذكر إيجابيات الآخر/ الغربي دون أن تنتهزها، فتتحدث عن أهمية العمل الإيجابي، وتوازن – في أسى عميق – بينه وبين الأمر نفسه في الأنا / الشرق، وهي لا تنسى ذكر إيجابيات الشرق أيضاً في خضم المواقف، ومن ذلك حديثها عن سكن ابنها (تميم) الذي يحوي غرفة واحدة، وقد أقاموا فيه أثناء رحلتها العلاجية، فتقول: " نتشارك ثلاثتنا في غرفة النوم على مدى الشهور الخمسة التالية، لأننا من بلاد طيبة، يقول المثل الشعبي فيها: (لقمة هنية تكفي مِيِّة) . " (٢)

وعندما طلبت منها الممرضة الأمريكية أنها بحاجة إلى إعادة تأهيل بعد الخروج من المستشفى، تعني تأهيلاً نفسياً، وجسدياً بعد إجراء أكثر من جراحة دقيقة في الرأس، كان لها أثر سيء على أداء الجسد كله حسياً ومعنوياً، فترد الكاتبة على الممرضة قائلة: " ابتسمت ! لا أعتقد أنني بحاجة لذلك، شكراً. لم أقل لها أنني في النهاية بنت العالم الثالث . ندبر أمورنا ما إن نخرج من المستشفى . " (٣)

(١) الرحلة، ص٩٠، ٩١.

(٢) أثقل من رضوى، ص ٤٧.

(٣) أثقل من رضوى، ص٨٠.

ويبدو للقارئ المتعجل أنها تسخر من بلادها في جانب الإهمال في الصحة النفسية للمريض؛ بينما هي تثني على قوة تحمل أهل الشرق، وصمودهم، واجتيازهم أصعب ألوان المِحن بأنفسهم دون مساعدة .

وفي جانب الاهتمام بالعلم وطلابه – على الرغم من سخريتها من حجم بناية المكتبة الأمريكية – إلا أنها خرجت منها بعد أن رأت تيسير الإجراءات المتاحة للطلاب، من إتاحة الكتب، وتصويرها بثمن زهيد، وغير ذلك – توازن في صمت و أسى بين حال المكتبات بين الشرق والغرب، فتقول:" قلت لنفسي وأنا أنتظر المصعد ليحملني إلى الدور الارضي بالمكتبة: ترى اي زمان جائر هذا الذي يجعلني أقارن بين هذا التابوت الحجري، وذلك الآخر العتيق، كجزع شجرة طاعنة في السن ؟ وأرى المبنى ذا المعمار الإسلامي كما يلوح لي،وأنا أقترب من ميدان باب الخلق( تعني الكاتبة دار الكتب المصرية)، ثم تأتيني رائحته الرطبة المميزة، ودرجه المتآكل، .. ودورة المياه التي سقط الطلاء عن جدرانها، والتي كلما دخلتها، عدلت عن استخدامها، وعدت أدراجي ملاحقة برائحتها الكريهة . " (١)

وهذه الموازنة لم يتبين منها انبهار الكاتبة بالآخر، بقدر ما يتبين منها سخطها على أحوال العلم في بلادها، وحديثها حديث المثقف المهموم بأحوال وطنه، الغيور عليه، المحب له، ولسان حالها يجيب على السؤال المؤلم: أي زمان جائر ؟ بأنه من المثير للألم أن تصنع بلد لا تاريخ لها مستقبلاً مشرقاً، وحاضراً مبهراً، وتهمل بلد موغلة في الحضارة والقوة والسيادة؛ تاريخها، وحاضرها، ومستقبلها .

ولكنها في جانب الفنون نجدها شديدة الإعجاب بالفنون الغربية بمختلف أجناسها وأنماطها . وربما يرجع هذا الانبهار إلى مدى تأثير الفنون في المجتمع، ومدى اتساقها مع همومه، وطموحاته، وتخليدها لمآثره وهزائمه، وكان يتبدى ذلك في تفسيرها وتحليلها لكل ما وقعت عينها عليه من لوحات، ومتاحف، وتماثيل . والقارئ للسيرة الذاتية للكاتبة يرى بوضوح اهتمامها

(١) الرحلة، ص٧٠، وانظر نفسه، ص٨٣.

الشديد، وولعها بالفن عامة، بالفن التشكيلي خاصة . وتقف وقفات سردية مطولة لسرد تفاصيل لوحة معينة أو تمثال، ثم تسقط ما فسرته على الواقع العربي سياسياً، ومجتمعياً .

ولكن هذا الإعجاب لم يخرجها من دائرة الموضوعية التي كانت سمة مميزة لرؤيتها، وهذه الموضوعية تجلت في نقدها للفن في المشرق الذي كانت تراه منفصلاً عن الواقع، ثم لما وجدت منه ما يسرها فضلته على الفن الغربي .

ومن مظاهر موضوعية النظرة بين الأنا والآخر لدى الكاتبة، أنها سوت بين رؤية الأنا والآخر للمرأة، حيث أن أول ما يجذب النظر إليها؛ الجسد فحسب، ففي معرض حديثها المعجب بتمثال (المفكر) في باريس، وهو تمثال كبير من البرونز لرجل عارٍ في وضع جالس، فتعلق عليه بانبهار، ثم تتخيل ماذا عساه أن يكون تمثال (للمفكرة)، هل ينظر العالم بكل ما فيه ومن فيه لجسد أنثى عارية إلا نظرة شهوة للجسد فقط، دون النظر إلى أي شيء عداه ؟ فتقول: " كيف يكون تمثال المرأة صاحبة الفكر، والمعرفة، ولم يربط تاريخنا البشري بعد بين بهاء جسد المرأة، وقدراتها العقلية ؟ " [١]

والحق أن العجيب هنا ليس ما تعجبت منه الكاتبة من حصر جسد المرأة في الرغبة الجسدية، وإنما الأعجب من ذلك هو إيمان الكاتبة بفن النحت ولا سيما إذا كان لجسد عار، وقد أخذت تبدي إعجابها الشديد به، بل وتتمنى أن يكون هناك آخر لأنثى عارية، ينظر إليه الناس، ولا يحق لهم أن يتفكروا أمام جسدها العاري، إلا في عقلها وتفكيرها !!

ومن أكثر ما أثنت عليه أكثر من مرة، لوحة (الجرنيكا) للفنان العالمي (بيكاسو) [٢]، علقت الكاتبة على اللوحة في زيارتها لها أثناء رحلتها العلمية، وحدثت زوجها قائلة: " (إن من البيان لسحراً) . غضب الفنان وحده لا يأتي

(١) الصرخة،ص ١٣٠.

(٢) في ٢٧/ إبريل/ ١٩٢٧م قصفت الطائرات النازية قرية (غرنيكا) بإقليم (الباسك) بإسبانيا، استمر القصف ثلاث ساعات، وبلغ عدد الضحايا ٦٥٤ قتيلاً، و ٨٤٤ جريحاً. في مايو رسم بيكاسو ست اسكتشات حول الموضوع..الرحلة، ص١٤٣.

بذلك البيان السحر ! لابد أن تتوفر لديه قدرة فذة على صنع تكوين دال ومقتصد ومتناسق إلى حد الصرامة الهندسية "[١]

ثم تسأل زوجها الشارد: " بم تفكر ؟ فيرد: في مذابحنا التي لم يرسمها أحد بعد ! " [٢]

في حين تسخر من سذاجة الأفلام السينمائية في مصر، وذلك في معرض حديثها عن كثرة المواقف التي تعرضت لها بسبب النسيان لبعض الأشياء، أو بعض الحقائب في المطار تعلق على هذه الوقائع: " العجيب كانت النهايات، على طريقة الأفلام العربية القديمة، نهايات سعيدة، وإن لم يتوفر في الأحداث – تماماً كما في هذه الأفلام – أي منطق يقود إلى هذه النهايات . " [٣]، وتحلل الكاتبة مشهد جنازة المغنية(أم كلثوم)، ورد فعل الزملاء، وتعجبهم، وسؤالهم، وجوابها على سؤالهم، لتقف على أمرين يتعلقان بالفن وأهميته في الرقي بالشعوب ووحدتها:الأمر الأول: قيمة الفن الحقيقي، فتقول: " هل هو حضورها الإنساني و ذكاؤها الشديد، و موهبتها في الغناء، التي فتحت لها الطريق، من الآنسة أم كلثوم إبراهيم منشدة السيرة النبوية في قرية صغيرة من قرى الدلتا، إلى سيدة الغناء العربي التي تُضبط مؤشرات أجهزة الراديو في وقت واحد من الخليج إلى المحيط؛ لتنقل حفلتها ليلة الخميس من مطلع كل شهر ؟ هل يمكن فصل المرأة عن المد الناصري، وفرحة العرب، و خيلائهم باكتشافهم أنهم أمة واحدة؟" [٤] ففي تحليل هذه الظاهرة النادرة؛ ساقت الكاتبة كل الافتراضات التي تصنع نجاح الفن، من خلال طرح تساؤل عن طبيعته، هل هو عاطفي أكثر من غيره ؟ أم أنه يجيد الإفصاح عن المشاعر التي لا يبوح بها غيره . [٥]

أما الأمر الثاني: فهو إساءة استخدام الفن، والجهل بدوره، واستغلاله من

(١) الرحلة، ص ١٤٤.

(٢) الرحلة،ص١٤٥.

(٣) أثقل من رضوى، ص٢٩، ٣٠.

(٤) الرحلة،ص١٢١.

(٥) انظر الرحلة،ص١٢١.

قِبل السُلطة في إلهاء الشعوب عن واقعها المأزوم، فيتراجع مستوى الوعي، ويستكين الفرد لجرعات هذا المخدر راضياً مرضياً، تقول: " لم أكن أحب أم كلثوم بشكل خاص، أو أهتم بمتابعة حفلاتها، بل ويستفزني غناؤها العاطفي، وما يكرسه من علاقة عثمانية بين الرجل والمرأة ....، ولكن الحق يقال أنني كنت أستجيب للمرأة، وهي تقف هكذا كمؤسسة وطنية يعلو صوتها بقصيدة (مصر تتحدث عن نفسها) أو (والله زمان يا سلاحي)، ويهتز جذعها ذلك الاهتزاز المباغت لامرأة مسكونة بما تغني.." (١)

من خلال ما سبق، يمكن القول بأن الموضوعية كانت منهجاً لتناول الكاتبة الأنا / الشرق، والآخر/ الغرب، فلم تنصف أحدهما – في أي جانب– على حساب الآخر، وكانت رؤيتها لكلٍ، صرخة عميقة ترد بها كل من يلهثون خلف الآخر دون تأمل، أو تعقل، كما عززت رؤيتها التمسك بالهوية العربية، والاعتزاز بها، وإصلاح ما اعتراها من خلل؛ للخروج بها، ومعها من أسر التخلف و الرجعية التي حبست فيهما الأمة زمناً طويلاً .

(١) الرحلة، ص ١٢٢. ثم تنتقد الكاتبة إساءة استخدام الفن، واهتمام الإعلام بإذاعة الأغاني العاطفية دون الوطنية، فتقول في حوار مع زوجها عندما سافر إليها في الولايات المتحدة، تاركاً مصر حينئذ تعاني مرحلة حرجة من الاحتجاج و التمرد الشعبي في الوقت نفسه التي رحلت فيه المغنية : " يا مريد. لم يذيعوا حتى (مصر التي في خاطري) ، فيرد: لا. إذن قرروا إنكار وجهها الوطني الأصيل، وتكريس وجهها الآخر. إنهم متسقون تماماً مع أنفسهم، أقصد في اختيارهم للانحطاط! " الرحلة، ص ١٢٢

**المبحث الثالث:**

## جماليات البناء السردي في السيرة الذاتية

-مدخل

-الشخصية

-الزمان

-المكان

**مدخل:**

الاختلاف حول النشأة يمر به كل جنس أدبي وليد ظروف مجتمعية في بيئة ما، وليس تتبع هذا الأمر من مهمات هذا البحث، وغاياته، بينما الأولى هو الاختلاف حول شكل هذا الجنس الأدبي، ومضمونه (١)

أما الاختلاف حول الشكل والمضمون؛ فلصيق الصلة بما سأتحدث عنه في هذا الفصل، وهذا الاختلاف يتمحور حول شكل السيرة الذاتية، ومضمونها من جهة تشابهها مع عدة أجناس أدبية أخرى، منها: المقالة، والمذكرات، واليوميات، والاعترافات، والحوار الداخلي، والتاريخ، والرواية، وأدب الرحلة، فكل هذه الأنماط من الفنون القولية، تتداخل، وتتشابه بسبيل أو بأكثر مع فن السيرة الذاتية؛ لتخرج السيرة الذاتية في النهاية بسماتها الخاصة التي تميزها عن كل هذه الأنماط . " ويمكن القول بأن الترجمة الذاتية الفنية، ليست هي تلك التي يكتبها صاحبها على شكل مذكرات، يعني فيها بتصوير الأحداث التاريخية، أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي، وليست هي التي تكتب على صورة ذكريات، يعني فيها صاحبها بتصوير البيئة، والمجتمع والمشاهدات، أكثر من عنايته بتصوير ذاته، وليست هي المكتوبة على شكل يوميات، تبدو فيها الأحداث على نحو متقطع غير رتيب، وليست في آخر

(١) انظر: فن السيرة، د / إحسان عباس، والترجمة الشخصية، د/ شوقي ضيف، و التراجم والسير، لمحمود عبدالغني حسن، و الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د يحيى إبراهيم عبد الدايم، و أدب السيرة الذاتية، د / عبدالعزيز شرف، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ لفيليب لوجون ترجمة عمر حلي. وغيرها.

الأمر اعترافات، يخرج بها صاحبها على نهج الاعتراف الصريح، وليست هي الرواية الفنية التي تعتمد في أحداثها، ومواقفها على الحياه الخاصة لكاتبها.." (١)

وعلى الرغم من الاختلاف حول شكل السيرة الذاتية، واختلافه عن الأنماط المذكورة، إلا أن النقاد حاولوا وضع بعض الخصائص التي ينبغي أن تتوفر في السيرة الذاتية . " ينبغي أن يكون لها بناء مرسوم واضح، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث، والمواقف، والشخصيات التي مرت به، و يصوغها صياغة أدبية محكمة، بعد أن ينحي جانباً كثيراً من التفصيلات، ...وأن يستعين الكاتب بكل ما يُستشف منه التاريخ الحقيقي لحياته النفسية والخلقية والمزاجية والفكرية والسلوكية .." (٢)

واختلاف الشكل والمضمون للسيرة الذاتية؛ يرجع إلى طبيعة الكاتب، وغايته من كتابة سيرته، فيؤثر الأسلوب الأدبي أو العلمي، أو شكل الرواية أو المقالات، أو المذكرات، وغير ذلك (٣)،ولعل الوقت قد حان للإجابة على تساؤل: إلى أي الأنماط تنتمي السيرة الذاتية للدكتورة رضوى عاشور ؟ وما سمات سيرتها الذاتية ؟

اتخذت الكاتبة في الكتب الثلاثة التي تناولت فيها مقاطع من سيرتها الذاتية، الشكل المقالي، حيث " يبني المؤلف سيرته في مجموعة من الفقرات أو المقالات، و ينهج في كل فقرة من الفقرات نهج المقالة التي تقوم على التفسير والتدليل، يقدم للفقرة كتمهيد أحياناً في كل فقرة، وهذه الفقرات تصوغ سيرة حياة صاحبها، وملامح شخصيته الفكرية، والوجدانية، والروحية . " (٤)

جاءت المقالات في سيرة الكاتبة معنونة، و مرقمة، و مترابطة، و

(١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دكتور يحيى إبراهيم عبد الدايم، ص١٦.

(٢) الترجمة الذاتية، د يحيى عبد الدايم. ص١٧، ١٨ بتصرف يسير.

(٣) انظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبدالفتاح شاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١/ ٢٠٠٢م.

(٤) السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: رؤية نقدية، د شعبان عبدالحكيم محمد، ص٤١، مؤسسة الوراق للنشر – الأردن، ط١/ ٢٠١٥.

متسقة مع بعضها البعض، في (أثقل من رضوى)، و (الصرخة)، بينما اكتفت بترقيم المقال فقط في (الرحلة) دون عنونة . ولكن الكاتبة جمعت في سيرتها بين عدد من أنماط الكتابة السردية، وربما يرجع إخفاق الكاتبة بالتزام نمط واحد في كتابة سيرتها، ومزجها المتناغم بين عدد من ألوان السرد – ربما مرجعه إلى شخصيتها المتعددة، فهي المرأة الناقدة، والباحثة، والأستاذة الجامعية، والكاتبة الروائية، فلم تملك أن تتحرر من رقبة كل هذه الشخصيات التي ألقت بظلالها على سيرتها، كما يرجع هذا التداخل إلى طبيعة العصر التي فرضت وحدة الفنون، فضلاً عن تداخلها، ويرجع أخيراً إلى السمات الشخصية للكاتبة، العنيدة، المتمردة، المنفتحة، التي تريد أن تطلق العنان لعقلها، وقلبها، وقلمها، لتسكب ما يموج بوجدانها من أحداث، ومواقف، وذكريات، شكلت شخصيتها [١]

ولعل تداخل الأجناس الأدبية في فن السيرة الذاتية، والخروج على الالتزام بنمط واحد فيها؛ هو سر خلودها، وتميزها، وصدقها، وذلك لأنه ليس هناك ما هو أصعب على النفس البشرية عامة، والمبدع خاصة من أن يثير سؤال: من أنا ؟ فالإجابة ليست يسيرة إلى ذلك الحد الذي لا يتسع إلا للون واحد، ونمط وحيد من الكتابة، بل تحتاج إلى اتساع الرؤية التي تشمل تقلبات الذات الفردية بكل ما تحمل من تناقضات جمة، فيتلاحم الأنا مع الآخر في أسلوب عصي على التأطير والتقعيد، فتتداخل سبل القول، وطرق السرد [٢]

ومن أكثر جوانب شخصية الكاتبة التي انعكست بوضوح على سيرتها الذاتية؛ جانب (الروائية)، وظفت الكاتبة إمكاناتها في الإبداع القصصي،

---

(١) وقد وقعت على نص نقدي لها في كتابها (الحداثة الممكنة) ربما يشاركني القارئ الرأي، و يوافقني إياه، إذا قرأ لها ما قرأت، تقول الكاتبة عن كتاب الساق على الساق للشدياق: " الساق على الساق في تقديري، رواية سيرة نادرة في الأدب العربي، تجمع بين التاريخ، والتخييل، وبين الترجمة الذاتية، والرحلة، وعناصر ترتبط بمفهوم الأدب بمعناه الكلاسيكي، وأخرى تفتح الباب على مفهوم الأدب بمعناه الحديث." الحداثة الممكنة، د رضوى عاشور، ص ٦٧.

(٢) انظر: أطياف الحداثة في أثقل من رضوى، د مؤمنة حمزة عون، مجلة كلية اللغة العربية بجرجا. تناولت فيه أن التداخل بين الأجناس الأدبية في السيرة الذاتية، ليس إلا طيفاً من أطياف ما بعد الحداثة.

فاقتربت السيرة – على الرغم من اعتمادها على الشكل المقالي – من النص الروائي كثيراً، " صياغة السيرة في شكل روائي؛ يكون أكثر إمتاعاً وتأثيراً في النفوس، لما يتصف به النص الروائي من التصوير، والتجسيد، للمواقف، والأحداث، والشخصيات، واستبطان الذات، وتصوير مشاعرها الدفينة، وانفعالاتها المتضاربة. " (١)

وتتجلى جماليات السرد فيما يلي:

**الشخصيات:**

لعل النمط الأهم، والأكثر حضوراً في شخصيات السيرة الذاتية؛ هو الأنا / الكاتبة، ثم المرأة –عمومًا– من خلال عرض بعض السير الغيرية لعدد من النساء، تأثرت بهن الكاتبة، فكانت الكتابة عنهن آخر ما جاد به قلمها . والسيرة تزخر بشخصيات عدة، في محيط الأسرة، والعمل بالجامعة، والسفر في الرحلة العلمية، والسفر في رحلتها العلاجية، ولكن الكاتبة التقطت من ذاكرتها من الشخصيات ما كانت سماته لافتة لها، مثيرة للتحليل، والتفسير، والتتبع، وهي تلك الشخصية التي تهتم ببناء الإنسان، وحقوقه، وحريته، أكثر من أي بناء، وتلتقط منازع الإنسانية، وكوامنها في كل من يحيط بها. وقد خرجت من تناول الشخصية عند الكاتبة في سيرتها الذاتية؛ بعدد من الملامح، منها:

–الموضوعية التامة في عرض الشخصية، والتوازن في رسم أبعادها بكل ما تحمل من تناقض، ولعل تناول ذاتها التي بنيت على مجموعة من الثنائيات الضدية نحو: القوة والضعف، والحزن والمرح، والتوتر والعصبية والهدوء، كان دليلاً على هذه الموضوعية(٢)؛ ولأن الشخصيات واقعية؛ فاحتفظت كثيراً ببعض السمات التي تحسب على الشخصية لا لها، ولم تتخذ من سيرتها الذاتية ميداناً لتصفية الحسابات مع الآخر، أي آخر..، إلا في مواقف قليلة ذكرت بعض أسماء شخصيات بعينها، وأعلنت عن مواقفهم المخزية تجاه مسئولياتهم، وإنسانيتهم، وأوطانهم، وأخيراً تجاهها . (٣)

(١) السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: رؤية نقدية، د/ شعبان عبدالحكيم محمد، ص١٩٩.

(٢) أثقل من رضوى، ص٣٠، ٤١، ٣٨. الصرخة، ص٥٠، ٤٩

(٣) مثل شخصية الرئيس محمد أنور السادات، في حديثها عنه بعد رحلته إلى إسرائيل، في كتاب الرحلة، =

– تعمدت الحديث عن شخصيات أخرى استثارت رغبتها في الكتابة، والتحليل، والتتبع، وأحسنت توظيفها فيما أرادت الإبانة عنه في سيرتها، فخرجت من نمطية العرض التي استعذبها غيرها من الكتاب – رجالاً ونساءً – من خلال تتبع تاريخ حياة الذات، وأهم مراحلها، وأهم المؤثرات فيها . وأعلمت القارئ منذ العنوان بأن كتاب (أثقل من رضوى) هو مقاطع من سيرة ذاتية، وليس سيرة ذاتية بالمعنى المعروف، وكان للشخصيات النسائية الحضور اللافت، ولكنها لم تصور المرأة ضعيفة، مقهورة، مستسلمة، متألمة، بقدر ما رسمت صوراً مشرقة لإشراقها، وجمالها الداخلي، ومحبتها للحياة، وقدرتها اللامحدودة على العطاء، وقدرتها العظيمة على تجاوز الحرمان ووقعه، بكل صوره .

ـ تتبع البعد النفسي للشخصية، والاهتمام بالجانب الإنساني فيها، وتحليله ونقد كل ما عداه، كأنها لا ترى في الشخص إلا إنسانيته، ولا يعنيها جنسه أو جنسيته، أو ثقافته، أو لونه، أو عرقه، أو دينه . وبقدر ما تتسم به الشخصية من أخلاق عليا، وقيم نبيلة؛ والعكس؛ بقدر ما تفتتن الكاتبة بملامحها، وتجد الرغبة الملحة في الكتابة عنها .

وقد أشرت إلى ما جعل اختيار الكاتبة لبعض نماذج السير الغيرية لبعض النساء في المبحث الثاني: الأنا / المرأة والآخر / الرجل . وسأكرر هنا – للتذكير والأهمية – نموذج المربية (حميدة)،الذي أرادت الكاتبة من خلاله أن تصحح فكرة المرأة الصارمة القاسية، فاستعانت بالبعد الجسدي، مع الاجتماعي والنفسي؛ لتقرر بأن الأنوثة لا علاقة لها بشكل المرأة، وملامحها، وما يبدو عليها من حدة .فالسيدة حميدة سمراء والدها من السودان، ووالدتها من الدلتا، قوية البنية، صارمة الطبع، حادة الملامح، سيئة المزاج، تدخن، ثم

---

=

وشخصية رئيس الجامعة (ماجد الديب) والموافقة على الملاحقة الأمنية لطلاب الجامعة، وعدم احترام حقوق أعضاء هيئة التدريس، والفساد الإداري في أثقل من رضوى، ص ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٧، ١٤٣، ١٥١، ١٥٢.

صارت أماً ثانية للكاتبة وأشقائها، تدخر راتبها الذي تحصل عليه من والدهم؛ حتى تشتري لهم الهدايا، ثم لأولادهم من بعدهم .

والأمر نفسه في شخصية الآخر/الرجل أو الأجنبي عامة رجلاً كان أو امرأة، فتناولت عددًا من شخصيات المشفى الأمريكي، مثل طبيبها المعالج، فتتأذى من فعل الطبيب الأمريكي المعالج (نيوكرك)، فهو – وهذه عادة عند الأطباء في الغرب – يقدم قبيل العملية الجراحية كل الاحتمالات السيئة التي قد يتعرض لها المريض، وهو بذلك يخلي مسئوليته الطبية والقانونية، من حدوث أي منها، لكنه لا يراعي أدنى قيمة لشعور المريض، ومن يصاحبه من محبيه – تقول: " قال – بوضوح – إن هناك احتمالاً أن يصاب المخ بعطب، يؤدي إلى جلطة، أو سكتة قلبية، أو شلل، أو الوفاة، وقد يحدث نزيف،....، أتطلع إلى وجه (مريد) . أتمنى لو ينهي (نيوكرك) كلامه بعبارة ما، تفيد أن هذه احتمالات بعيدة، والأرجح أنها لن تحدث." (١)

تضح المفارقة العظيمة بين شخصية الأنا / الشرقي، والآخر / الغربي، ويتضح الفرق بين سطوة العلاقات التراحمية في الشرق، وطغيان العلاقات التعاقدية في الغرب، فهذا طبيب لا يعرف إلا لغة مبضع الجراحة، ولا يرقب في مريض حساً، ولا رحمة، وهذه المريضة التي تخشى على زوجها خشيته عليها !

وكان من أكثر شخصيات الآخر/ الغربي التي تتبعتها الكاتبة بالتحليل النفسي، وأبانت عن قدرتها في فهم الإنسان، وأدبها الجم عند الاختلاف؛ شخصية أحد الأطباء في الفريق الطبي المعالج لها بأمريكا، يدعى (ولتر جين)، وكان قد أصر على رأيه بإجراء العملية الجراحية الأولى بطريقة ما، فرفضت الكاتبة ما قاله، وتمسكت برأيها الذي تبين بعد إجراء العملية أنه جانب الصواب، ومن ثم قرر الأطباء أنها ستجري جراحة ثانية لتدارك هذا الخطأ، وما أن رأته بعد قرار إجراء العملية الثانية حتى بادرت بالاعتذار له، مقرة بالخطأ، ومعترفة بأن ما يشفع لها أنها دفعت، وستدفع ثمن قرارها الخاطئ، فلم

(١) أثقل من رضوى، ص٥٣.

يعاتبها، أو يلومها، على الرغم من غضبه الشديد، تقول: " تورد وجهه، وسارع بتغيير دفة الكلام، إلى التفاصيل الخاصة بالجراحة القادمة، رأيت بوضوح لا لمحًا، الإنسان المختبئ وراء الوجه الصارم، وحين تأملت الأمر بعد عودتي إلى البيت، وعرفت من موقع المستشفى على الشبكة الالكترونية، أنه صغير السن، رغم كونه أستاذاً (تخرج من كليه الطب عام ١٩٩٣م)، قدرت أن لتوتره علاقة بصغر سنه، ثم عدت أرجح أن الأمر يتعلق بكونه صينيًا ." (١)

أي اهتمام هذا بتتبع الإنسان، وتفسير أخلاقه، وتبرير سلوكه!، والاعتراف بالخطأ، وتقدير الناس حق قدرهم، والتماس الأعذار لهم ..؟! حسب الكاتبة أن تعلم القارئ دروساً عظيمة في البحث عن الإنسانية فينا وفي الآخر.

**الزمن:**

لعل أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ عن الزمن، هو ذلك السؤال: هل سارت أحداث السيرة في زمن متسلسل حسب ما جرت في الواقع ؟ أم اتبعت الكاتبة نهج كتاب (ما بعد الحداثة) في الخروج عن النمط المعهود للزمن وآلياته؟ حيث " عمد كتاب الرواية الجديدة إلى كل ما كان قائماً على التسلسل الزمني المنطقي، فمزقوا سلاسله، و شوّشوا على نظامه، واتخذوا من الفوضى جمالاً فنياً. " (٢)

والحق أنه قبل الإجابة على هذين التساؤلين، ينبغي الإشارة إلى أمرين يتعلقان بالكاتبة أولاً، وهما: أبانت الكاتبة منذ عتبة العنوان في سيرتها الذاتية، أنها ستؤثر بعض المراحل الزمنية من حياتها بالحديث عنها دون البعض، فجاء عنوان كتاب (الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا)، فيتعانق في العنوان؛ المكان مع الزمان .

وجاء الكتاب الثاني بعنوان: (أثقل من رضوى: مقاطع من سيرة ذاتية)، فنوهت بأنها ستؤثر بعض المقاطع، أي بعض الأحداث، وبعض المواقف،

(١) أثقل من رضوى، ص٥١، ٥٢.

(٢) في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د/ عبدالمالك مرتاض، ص١٩١، عالم المعرفة – الكويت ، ط ١٩٩٨م.

وبعض الأزمنة، وبعض الأمكنة . حسب ما تتغياه من كتابة سيرتها . وهذا الانتقاء منذ العنوان يوحي برغبة الكاتبة في التحرر من ربقة الالتزام بالتسلسل الزمني، والأمر الثاني: شخصية الكاتبة، الروائية ذات الدربة، والخبرة بتوظيف الزمن في الرواية، لا سيما الرواية التاريخية، وشخصيتها التي تألف الخروج عن المألوف إذا كان يحمل قيمة جمالية، وشخصية المرأة التي تحمل محزوناً هائلاً من الذكريات، والأحداث التي أثرت فيها، وشكلت شخصيتها، ولا تفتأ ترددها كلما مرّ حدث مشابه، فتميل إلى تداعي الذكريات، والأحداث . من خلال ذلك تتضح الإجابة على السؤال المطروح .

فالكاتبة لم تتعمد السير على نهج الحداثة، أو السير على نهج ما قبلها، وما بعدها، وإنما أطلقت لخيالها، وذاكرتها العنان في الاستدعاء الحر، وانتقاء بعض الأحداث دون البعض الآخر، والاتكاء على تقنية (تيار الوعي) كثيراً، " وهو عبارة أطلقها عالم النفس (وليم جيمس)؛ ليعبر عن الانسياب المتواصل، للأفكار والمشاعر داخل الذهن، واعتمدها نقاد الأدب من بعده، لوصف نمط من السرد الحديث، يعتمد هذا الشكل الانسيابي. " [١]

ولم تعق الكاتبة واقعية الزمان، والمكان، والأحداث، والشخصيات، عن جذب المتلقي، وتشويقه، ومشاركته في ملء الفجوات الزمنية للنص، ومراوغة القارئ، بل و مراوغة الزمن بكل تقنياته، وأبعاده .وما أود التنبيه إليه أن توظيف الزمن لا يمكن الحديث عنه بمعزل عن بقية عناصر البناء السردي، " وليس للزمن وجود مستقل، نستطيع أن نستخرجه من النص، مثل: الشخصية، أو الأشياء التي تشغل المكان، أو مظاهر الطبيعة؛ فالزمن يتخلل الرواية كلها ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية؛ فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية."[٢]

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، ترجمة د/ لطيف زيتون،٦٦. مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر – لبنان. ص٦٦.، ط١/ ٢٠٠٢م.

(٢) بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د سيزا قاسم، مكتبة الأسرة – مصر، ص٣٨. ط/٢٠٠٤م.

ولذا سيجد القارئ تعانقاً ملحوظاً بين الزمن، وغيره من عناصر البناء على النحو الآتي:

-يتبدى للقارئ منذ القراءة السريعة للسيرة الذاتية للكاتبة؛ مدى اهتمامها بالتاريخ، وتوظيف أحداثه، فمزجت بذلك بين عدة أزمنة في آن واحد، ولا يخفى ما في ذلك من تنويع وتشويق يضفي على الأسلوب جمالاً، وصدقاً، " يضفي اختيار الأحداث التاريخية المعروفة طابعاً خاصاً على الرواية الواقعية؛ يمتاز بالتماسك، والترابط بين الحياة الشخصية الخاصة، والحياة الخارجية العامة ." (١)

وإذا كان هذا مع الرواية، فهو مع السيرة الذاتية أكثر متعة، وأقوى فائدة، إذ تروى الأحاديث التاريخية من زاوية خاصة، ويتضح من الرواية مدى تأثيرها، كما يتضح مدى خروج الكاتب في سيرته من إطار حياته الخاصة إلى آفاق الأحداث التي شكلت واقعه . (٢)

**الزمن الكوني أو الفلكي.**" ويقصد به إيقاع الزمن في الطبيعة، ويتميز بصفة خاصة بالتكرار واللانهائية، وهذا المفهوم من المفاهيم التي تسود الأساطير، خاصة أساطير الخصب التي ترمز إلى أبدية الحياة، وتجددها . " (٣)

---

(١) بناء الرواية، د/ سيزا قاسم، ص ٧٢.

(٢) وهناك حشد من الأحداث التاريخية التي تزخر بها سيرة الكاتبة، والتي تعانقت مع حياة الكاتبة، .فيقف القارئ على نكسة يونيو ١٩٦٧م، الرحلة،ص٥. وحرب أكتوبر الرحلة، ص٦٣. ومعاهدة السلام، وزيارة السادات لإسرائيل الرحلة، ص١٧٥. ومذبحة بوسطن بأمريكا الرحلة،ص٨٢. واستشهاد رجال الشرطة المصرية بالإسماعيلية على يد قوات الاحتلال البريطاني، ١٩٢٥م، وما تلاها من أحداث منها: حريق القاهرة أثقل من رضوى، ص٦٠. وثورة تونس٢٠١١م أثقل من رضوى، ص٤٥. فصل بعنوان: (إذا الشعب يوماً..) وأحداث ثورة عرابي، والمزج بينها وبين ثورة الخامس والعشرين من يناير، انظر: أثقل من رضوى، ص٢٥٥. وأحاديث الثورة المصرية تطول، وتنال الجزء الأكبر من الحديث، ويصعب حصرها في صفحات بعينها. وحديث عن سياسة الخديوي إسماعيل، وقناة السويس انظر أثقل، ١٦١. وحديث عن حرب قرية غرنيكا في إسبانيا الذي جسده الرسام العالمي (بيكاسو) في لوحته الشهيرة (الجرنيكا) أثقل من رضوى،ص٢٩١. وغير ذلك من الأحداث، والوقائع التي يصعب حصرها.

(٣) بناء الرواية، د سيزا قاسم، ص٧٤.

ونجد التكرار واضحاً في سيرة الكاتبة لألفاظ نحو: (الليل- الصبح- النهار- الخريف- الربيع – الصيف – الشتاء ..) ولكل منها دلالة في السرد غير دلالتها المعروفة، أو مضافة إليها، وكذا وردت كثيراً من الأحداث التي تعاقب فيها الموت مع الميلاد، والثورة، والصمت المخزي، وغير ذلك من تلك الثنائيات التي وظف فيها الزمن توظيفاً فريداً في لغة رامزة، وإسقاط مُشّع .

فتقول عن الأيام الصعبة الأولى لها في رحلتها العلمية إلى أمريكا موظفة (الخريف): " غلبنا المكان ربما بأخضره المطلق رغم علامات واهية لخريف على الأبواب، ...أعود إلى النهر الذي ولدت في بيت يطل عليه، والوادي الممتد في الشمال بخير النهر، والأخضر بكدح فلاحين نحاف تنحني ظهورهم .." (١)

تتوحد الكاتبة مع فصول السنة، والأماني التي تحملها هي ذلك الأخضر الكثيف الذي يغطي معالم الخريف، ذلك الخوف المتناهي القابع في قلبها، وذلك الشعور بالغربة الذي لم تستطع أن تخفيه، وتلك الموازنة بين الغابات الأمريكية، وبين وادي النيل الأخضر بأيدي فلاحين كادحين، هل كانت محاولة لإقناع نفسها بالعودة إلى مصر؟ ربما ..

وعن الشعور العنيف بالغربة، والشعور المتناقض بالاستمرار لتحقيق الحلم بالدكتوراة أو الرجوع إلى أحضان الوطن الدافئة؛ تتوحد من شتاء الولايات المتحدة الأمريكية المتناقض العجيب، فتقول عن اللحظة الأولى لها بعد خروجها من المطار: " كنت أخطو في عالم جديد، جديد في تساقط الأمطار بهذه الغزارة في يوم قائظ الحرارة، في آخر شهر أغسطس، جلست فيه بجوار سائق التاكسي، أراقب فيه الحركة المستمرة لمسّاحات السيارات، ولحبات المطر، وأنا أتصبب عرقاً من شدة الرطوبة والحر . " (٢)

وتوظف ألفاظاً مثل: الصباح، والشمس؛ لدلالة البشرى والتفاؤل، نحو قولها: " ولكن في صباح اليوم التالي كنت في حالة جيدة " (٣) وقولها: "

(١) الرحلة،ص ١٢.

(٢) الرحلة،ص١٦.

(٣) الرحلة، ص٣٧.

خرجت من باب المستشفى، وكانت الشمس ساطعة، تضفي شيئاً من التألق على المكان، ودفئاً مميزاً في يوم خريفي ." [١] وكأنها تغادر برودة الغربة إلى دفء الوطن .وعندما همت بزيارة تمثال الحرية في أمريكا، كان الزمن حاضراً، حيث الضباب الكثيف، والريح العاتية، وهي رموز لاختفاء معالم الحرية في أمريكا بين ألاعيب السياسة، والأطماع الاستعمارية، وأنه مجرد تمثال تتيه معالمه في أجواء من الضباب . [٢] وفي تعانق لأحداث الميلاد مع الوفاة مع الهزيمة، تقول:" رحل طارق (شقيقها الأكبر) في يوم ميلاده السابع والستين. وطبعاً توقفت عند التاريخ، وكدت أقول لنفسي، وإن لم أقل شيئا، عن علاقتنا بهذا التاريخ القاتل ." [٣]، وتربط بين أمراض الأورام واستئصالها، وبين استئصال الأنظمة الحاكمة في ثورات الربيع العربي [٤]، وأول أيام نزولها ميدان التحرير، بعد عودتها من الرحلة العلاجية، كان يوم ميلادها، تقول:" في مساء السادس والعشرين من مايو (وهو بالمناسبة يوم مولدي) ذهبت إلى ميدان التحرير .."[٥]

**الزمن النفسي:** " وهو خلاف الزمن الطبيعي، فإحساس الناس بالوقت ينبع من الحالة التي هم فيها. فالإنسان المنتظر القلق الخائف يحسب الساعة دهراً، والإنسان اللاهي المستغرق في السلوى أو المتعة يحسب الساعة، دقيقة . " [٦]

ومن ذلك رتابة مرور الوقت، وملل الانتظار، تقول عن شعورها في انتظار الرسائل إليها من مصر في رحلتها العلمية: " ورحت أنتظر رسالة من القاهرة، رحت أنتظرها كل يوم، رغم كل الحسابات التي تقول أنها لم يحن

(١) الرحلة، ص ٣٨.

(٢) الرحلة، ص١٢٩.

(٣) أثقل من رضوى، ص٢٤.

(٤) انظر: أثقل من رضوى، ص ٢٥٩، ٢٦٣، ٣٤٣.

(٥) أثقل من رضوى، ص ١١٤.

(٦) مجم مصطلحات نقد الرواية، د لطيف زيتوني، ص ١٠٩. بتصرف يسير.

وصولها .." [١]، وأثناء إجراء علاج الإشعاع، ونفورها من الصوت المزعج للأجهزة الطبية، تقول: " ..هكذا بلا انقطاع، لمدة لا تريد أن تنتهي. لا أستطيع التفكير في أي شيء. أقطع الوقت بالعد، أتجاوز المائة إلى المائتين إلى الثلاثمائة . أكفّ ." [٢]

**المفارقة الزمنية:**

تلاعبت الكاتبة، وتصرفت، وتدخلت كثيراً في الترتيب الزمني للأحداث بصورة لافتة . " وتجد السرد يتحرك في مساره الأفقي المألوف، ثم ينتابه توقف فجائي في منطقة بعينها، ليفسح المجال لسرد إضافي مؤقت، يعود بعدها إلى مساره الأول، سواء كان ذلك في تقنية الحذف أو الاختصار أو الاستباق أو الاسترجاع، وغير ذلك .." [٣]وتشكلت المفارقة الزمنية عند الكاتبة في سيرتها الذاتية إلى لونين: الاسترجاع، والاستباق .

**أ. الاسترجاع**

إذا كان الاسترجاع أحد أهم تقنيات الروائية؛ فإنه في السيرة الذاتية أكثر أهمية، وأكثر حضوراً، إذ تعتمد أحداث السيرة الذاتية على استرجاع السارد/البطل للأحداث، و استدعائه للذكريات . " و الاسترجاع مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق . وهذه المخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية نوعاً من الحكاية الثانوية، ... أما وظيفته فهي غالباً تفسيرية: تسليط الضوء على ما فات أو غمض من حياة الشخصية في الماضي، أو ما وقع لها خلال غيابها عن السرد . " [٤]

وهناك نوعان من الاسترجاع: داخلي، وخارجي، والخارجي يعود إلى ما

---

(١) الرحلة، ص ١٨.

(٢) أثقل من رضوى، ص ٩٨. وانظر نفسه، ص١٠٣.

(٣) التشكيل الفضائي في الرواية العربية: رقصة الجديلة والنهر لوفاء عبد الرازق أنموذجاً. د/ زين الدين زكريا الشيخ، ص٧٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط١/ ٢٠١٧م

(٤) معجم مصطلحات نقد الرواية، د لطيف زيتوني، ص١٨، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر- لبنان.،ط١| ٢٠٠٢م.

قبل بداية الرواية، والداخلي ماض حدث بعد أحداث الرواية .[١]

وكثيراً ما لجأت الكاتبة إلى الاسترجاع الداخلي؛ لسرد الأحداث المتزامنة، كما كان وسيلة للربط بين قصة وأخرى، أو شخصية وأخرى، أو لتداعي الأفكار بصورة تفصح عن نفسية الكاتب، وما يمور به وجدانه من قلق . وألقى الاسترجاع الداخلي على الأحداث كثيراً من الخبرة، والتشويق، والتجربة، والواقعية .

ومن ذلك كثرة الاستدعاء لتجمع أسرتها في بيت الأب، فتتحدث عن دفء اللقاء العائلي، وما يحيط به من حنو، ومودة، وتراحم، وقد اختزلت الكاتبة بهذا الاسترجاع؛ كل ما يمكن أن تقف فيه الباحثة على شخصيات أشقائها، وعلاقتهم بها، وببعضهم البعض، ووالدها، وأمها، والمربية، وكأنها تختصر بسرد هذه اللقاءات أكثر صفحات السيرة الذاتية– عند أغلب كُتابها– ذكراً و عرضًا، تقول: " لم يكن اجتماعنا وحده، هو ما يثير الصغار، لأن جعبة (حاتم) (شقيقها) لا تخلو من مفاجآت لهم، وهذا أيضًا تقليد التقطه (حاتم) من أبي، ومن مربيتنا (حميدة) أم جلال–رحمها الله– . كان (جرير) المهر الذي فاجأنا به أبي ذات يوم هو موضوع الصخب والإثارة . " [٢]

وتأتي تقنية الاسترجاع الداخلي لربط شخصية بأخرى، نتيجة التشابه بينهما في شيء ما من رؤية الكاتبة، فيأتي استرجاع تاريخ شخصية عند حضور الأخرى، نتيجة الاختلاف الشديد بين الشخصيتين، مثل استرجاعها

---

(١) انظر: بناء الرواية، د/ سيزا قاسم، ص٥٨. ومن الاسترجاع الخارجي، الأحداث التاريخية نحو حديثها عن سياسة الخديوي إسماعيل، و تشييده قصر لوالدته، يسمى (قصر الزعفران) وهذا القصر فيما بعد أصبح مقر إدارة جامعة عين شمس، تناولت الحادثة مسقطة على بناء الحكام للقصور المبالغ في بهرجها، والتي لا تتناسب مع أحوال الشعب المصري الذي يئن تحت وطأة الفقر:انظر: أثقل من رضوى، ص ١٤٥. وهي تسقط الفساد في عهد الخديوي على الفساد الإداري للجامعة. واستدعائها لشخصية أحمد عرابي، وثورته، وهزيمته، ونفيه، ثم لم يكتف الإنجليز بذلك، بل حولوا بيته إلى مستشفى بريطاني، تزعم أنها تقدم للشعب المصري خدمة طبية لم يكن له عهد بها، واكتشفت الكاتبة بعد بحث جاد أن بيت عرابي الذي حول إلى مستشفى يقع في أحد الشوارع المحيطة بميدان التحرير، والتي كانت تتساقط فيها أرواح الشهداء واحداً تلو الآخر.انظر أثقل من رضوى، ص ٢٥٦، ٢٦٦.

(٢) أثقل من رضوى، ص١٢٥.

لشخصية عمتها (عزيزة)، عندما رأت ابنة أخيها (مها) التي تشبهها في الملامح كثيراً، ولكن البون شاسع بين حياة العمة وحياة بنت الأخ .[١]

**ب- الاستباق**

ضد الاسترجاع، وهو: " مخالفه لسير زمن السرد، تقوم على تجاوز حاضر الحكاية، وذكر حدث لم يحن وقته بعد، و الاستباق شائع في النصوص المروية بصيغة المتكلم، ولا سيما في كتب السير والرحلات."[٢]

كثيراً ما وظفت الكاتبة تقنية الاستباق، وسيلة لتفسير حدث، أو توضيح رؤية، أو تأكيد واستدلال على صحة رؤيتها لأمر ما، أبانت الأيام أنها كانت على حق، أو خوفاً من الاتهام بأمر ليس فيها، أو رميها بنقد هي منه بريئة، فتلجأ إلى الاستباق؛ لتبرئ نفسها، أو تزيل الشك، أو تدحض الحجة، وتنفي الزعم، وتوظيف الاستباق على هذا النحو؛ يصبح ظاهرة في أسلوب الكتابة النسائية _سأتناول هذا الأمر بالحديث في المبحث القادم – ومن ذلك موقفها من إدارة الجامعة، فقد وقع خلاف بينها وبين رئيس الجامعة، بسبب مطالبتها بحقوق أعضاء هيئة التدريس، ورفضها القاطع لوجود عناصر الشرطة داخل الحرم الجامعي، وقد لجأت مع بعض الزملاء المعروفين بحركة (٩مارس) إلى القضاء المصري الذي حكم لصالح أعضاء هيئة التدريس، ولما أخذت الحكم القضائي، وذهبت به إلى رئيس الجامعة؛ رفض تنفيذه، وصودف أنها كانت تعد أوراقها للسفر إلى أمريكا في رحلة علاجية، فرفض عميد الكلية طلب الأجازة المرضية، وقال لها بأن عليها الذهاب إلى مقابلة رئيس الجامعة، فرفضت رفضاً قاطعاً، وقالت مستبقة للأحداث: " يريد أن أذهب إلى مكتبه؛ ليصرح في جريدة ما: جاءت تعتذر لي . وقد يتقمص دور الفارس الهمام فيضيف بغبطة: أعطيتها إجازة، وسنتكفل بعلاجها، وكأنني لا أعمل في الجامعة من أربعين سنة . " [٣]

(١) مر ذكره، انظر الصرخة، ص٩٩.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د لطيف زيتوني، ص١٦.

(٣) أثقل من رضوى، ص٣١.

ويصدق حدس الكاتبة، وتجد ما توقعت منشوراً في أحد الصحف، باسم الجامعة، بعد سفرها، تقول:" بعد شهر وأنا في واشنطن، أجلس إلى مكتب تميم في بيته الصغير، وقعت على خبر منشور، على بوابة جريدة الوفد الإلكترونية، بتاريخ العاشر من ديسمبر ٢٠١٠م، تحت عنوان: (هاني هلال يفرج عن رضوى عاشور ...أضحكتني الأكاذيب في الخبر.) " [١]

وهذه القفزة المتعمدة، والاستباق المتكرر، لتؤكد على صحة رؤيتها، و صوابية قرارها، ومواقفها، كما أزالت شكوك القارئ الذي قد يظن أن رضوى المتحررة المتمردة؛ تتمرد على رؤساء العمل .

وقد يأتي الاستباق لتختزل به الكاتبة بعض الأحداث المتكررة التي لا تحمل كبير دلالة، وقد يؤدي تكرارها إلى ترهل البنية السردية، ومن ذلك كثرة أحاديث المستشفى، والتردد على أقسامها المختلفة، تقول: " في ذلك الأسبوع، سأتردد عدة مرات على الطابق السابع، حيث قسم جراحة المخ والأعصاب، وعلى قسم الرأس والعنق، في الطابق الأول، وقسم الإشعاع في الطابق الأرضي..."[٢]

وكثرة الاستباق في العمل الروائي يضر بعناصر التشويق والإثارة التي تكون على رأس أولويات المبدع، والمتلقي، بيد أنها مقبولة في كتابة السيرة الذاتية، حيث يؤرخ السارد/ البطل لحياته، ويعرف في زمن الكتابة ماضيه، وحاضره، فيكون الاستباق دليلا على مهارته في توظيف الزمن وتقنياته .

**إيقاع السرد:**

" ينظر الإيقاع السردي من حيث وجود زمنين: الأول: زمن الحكاية أو القصة، و زمن السرد، فزمن القصة هو مجموع الفترة التي تستغرقها القصة، غير أن زمن السرد هو الذي يتناسب مع البنية السردية – إنه زمن القراءة أو زمن التجربة– وهو زمن يسيطر عليه الروائي، الذي يطوي السنين بجمل قليلة، ولكنه يخصص فصلين لحفلة شاي .." [٣]

(١) أثقل من رضوى، ص ٣١،٣٢، وانظر نفسه، ص٦٥.
(٢) أثقل من رضوى، ص٣٦، وينظر نفسه، ص٩٩.
(٣) التشكيل الفضائي في الرواية العربية، د زين الدين زكريا الشيخ، ص ٤٧، ٥٧.

ولحاجة في نفس الكاتبة- يصل إليها القارئ بعد طول تأمل- توظف بعض التقنيات التي استخلصها النقاد من الإبداع القصصي لدى رواده في الغرب والشرق. وتبتغي من خلالها إسراع السرد، أو إبطائه، ومن ذلك:

الخلاصة:حيث تعرض بعض الأحداث التي استغرقت وقتاً زمنياً طويلاً، في مساحة نصية صغيرة، فتضغط فترة زمنية طويلة في مقطع نصي قصير [١]

ومن ذلك حديثها عن سرعة اندماجها في المجتمع الأمريكي في رحلتها العلمية، وتكوين عدد من الأصدقاء لا بأس به، دون الوقوف على المواقف، والأحداث التي جمعتها بهؤلاء الأصدقاء، فتكتفي بقولها:" كنت أقدم نموذجاً للقدرة على التآلف السريع من واقعي الجديد، فأنا أجيد الإنجليزية، ويسهل على التواصل مع الناس، وأحب الثرثرة مني، ومن الآخرين، فما انقضى أسبوع على وصولي، حتى كنت قد تعرفت على عدد كبير من الطلاب الأمريكيين والأجانب. " [٢]

**الحذف أو الثغرة:**

وهي إحدى وسائل سرعة الإيقاع، حيث يعمد الكاتب إلى تجاوز مقاطع زمنية لا يعالجها، بل يقفز إلى غيرها من الأحداث، ربما لأهمية الأحداث التي تليها عنها، فينتقي الأهم، وربما يعمد إلى ترك بعض الأحداث المهمة، – ولا سيما في السيرة الذاتية–[٣]

ومن ذلك حذف الحديث عن أول عطلة لها في مصر بعد عودتها من أمريكا بعد انتهاء العام الدراسي الأول، فتقول عن لحظة هبوط الطائرة في

(١) انظر: بناء الرواية، د. سيزا قاسم، ص٨١، ومعجم مصطلحات الرواية، د لطيف زيتوني، ص٧٥.

(٢) الرحلة، ص ١٦. وحديثها المختزل الشديد الإيجاز عن وفاة أمها، بعد وفاة شقيقها الأكبر بخمسة أسابيع فقط، دون أن يسبق موتها إنذار بمرض، فتقول: " بعد خمسة أسابيع لحقت به أمي. لم تكن مريضة حين مات ابنها البكر. حضرت أيام العزاء الثلاثة، استقبلت المعزيين، وودعتهم بما يليق بهم، ثم انسحبت. لزمت الفراش، وأحجمت عن الكلام، ورحلت. " أنقل من رضوى،ص٨.ولعل صمت الأم يتوافق مع صمت الكاتبة، وإنا لنجد أحاديث النساء تطول وتطول في مقام الموت، و ينوء الصمت بأثر الفاجعة، ولكن الحزن الصامت التي اكتست به الأم، قد أصاب الكاتبة شيء منه، فآثرت المرور على الواقعة، هذا المرور الهادئ السريع.

(٣) انظر بناء الرواية، د سيزا قاسم، ص٩٣.

مطار القاهرة: " عيناي الناظرتان عبر زجاج النافذة الصغيرة تحدقان عبر الظلام والضوء بحثاً عن النيل الذي لا تراه، وتعرف أنه هناك . " (١)

ثم يحدث حذف كامل لكل أحداث العطلة، وتصف بعد ذلك مشهد العودة إلى أمريكا، في طريقها من المطار إلى الجامعة، فتقول: " الطريق نفسها، والحركة الوئيدة نفسها. أجلس في الظلام منكمشة، أحدق في الحركة الرتيبة لمساحات المطر على الواجهة الزجاجية العريضة للأوتوبيس . أمطار غزيرة، وليل موغل . " (٢)

ولعل حذف أحداث العطلة، ولقاء الأحبة، ولحظة السفر مرة أخرى، قد آثرت حذفها لأنها وصفت هذه اللحظات من قبل، أو بعد (فقد وصفت لقاءها بزوجها عندما سافر إليها قبيل الحصول على الدكتوراة)، ربما لم ترد أن تتحدث عن لقاء الأب الذي كان رافضاً لزواجها، ورافضاً لسفرها، وربما حذفت أحداث العطلة بمصر ؛ لأنها التزمت منذ عنوان الكتاب بأنه معني بذكر يوميات الرحلة فقط حينما صدرت العنوان بقولها: (يوميات طالبة مصرية بأمريكا).

**الوقفة، أو الوصف:**

هو توقف زمن السرد ليحل محله الوصف، فيصف الكاتب المناظر والمشاهد ببطء، ويتوقف حينئذ الحدث؛ فتصبح سرعته لا شيء،" ولا يكون الوصف استطرادًا أو شيئاً خارجاً عن أثر الأدب، بل تقتضي أن يكون الوصف خاضعاً للشخصية، مقيداً بمجموع الأثر، وما يؤكد التوافق والتناغم مع مكونات العمل الروائي كلها، وذلك لأن الوصف يحمل معاني ودلالات أبعد من مجرد تمثيل الأشياء، بل يصف مظاهر الحياة، ويمثلها. " (٣)

والوقفة أكثر سمات السرد ظهوراً في السيرة الذاتية للكاتبة، ربما لكونها كاتبة روائية، فضلاً عن كونها امرأة، تميل بطبيعتها النفسية إلى الوقوف أمام

(١) الرحلة، ص ٥٧.

(٢) الرحلة، ص ٥٨.

(٣) التشكيل الفضائي في الرواية العربية، د. زين الدين زكريا الشيخ، ص ٩٥. وينظر بناء الرواية، د. سيزا قاسم، ص٩٢.

الأحداث والأشياء بشيء من التتبع والتفصيل، وقد يصعب الوقوف على أسرار الوصف عند الكاتبة؛ لكثرة مراميه، ولكنه تميز باندماجه بالحدث و توافقه معه، و سيرورته في فلكه، مما يجذب المتلقي، و يفيده، و يمتعه، بصورة تعكس قدرة الكاتبة على تمكنها من أدواتها. ومن الوقفات السردية ما عني بسرد أحداث سياسية تاريخية، نحو ما مر ذكره عن سياسة الخديوي إسماعيل في حديثها عن قصر الزعفران، مقر إدارة الجامعة، [١]

**المشهد:** يلجأ الكاتب إلى هذه التقنية في العمل الروائي، حيث يعرض الأحداث التي تقع في مدة زمنية قصيرة، في مقطع سردي طويل، فتكون مساحة النص أكبر من سرعة الحدث[٢]،والهدف هو إبطاء إيقاع السرد، حيث يريد الكاتب نقل شعوره بالحدث على مهل، لأهميته، أو شدة الانفعال به . وقد جاء التركيز على حدثين مهمين في كتاب (أثقل من رضوى) مر الحديث عنهما كثيراً، وهما: محنة المرض، وأحاديث الثورة المصرية وما تلاها من أحداث. ونقلت الكاتبة هذين الحدثين دون ما سواهما من أحداث حياتها، نقلاً مفصلاً، وكررت مشاهد المستشفى، والعلاج، والعمليات الجراحية، وقسم الإشعاع، والرنين المغناطيسي، وجلسات الأطباء، ورسائلهم إليها، كما كثرت مشاهد الثورة، وتكررت حتى أخذت شكل المذكرات حيناً، واليوميات أحياناً، ليجد القارئ الفصل قد تكرر أكثر من مرة والأحداث واحدة، وقد أفسد هذا كثيراً من جمال السيرة الذاتية، ولم يشفع للكاتبة تفهمها لشعور القارئ والاعتذار له، والإشفاق عليه في أكثر من موضع.[٣]

---

(١) انظر أثقل من رضوى، ص ١٤٥. والحديث عن الثورة العرابية، ومنزل أحمد عرابي في أحد الشوارع المحيطة بميدان التحرير، حيث يقتل الثوار، في ثورة الخامس والعشرين من يناير.انظر أثقل من رضوى، ص٢٦٧. ومن الوقفات السردية الطويلة كذلك، وقفة الكاتبة أمام لوحة (الجرنيكا) لبيكاسو، وذكر تفاصيلها، ووصفها الدقيق، انظر الرحلة، ص ١٤٣، ١٤٤. وانظر: أثقل من رضوى، ص ٢٩٥.

(٢) انظر بناء الرواية، د. سيزا قاسم، ص ٩٤.

(٣) من مشاهد وصف الثورة، انظر أثقل من رضوى، الفصل السادس(مصر التي..) ص ٥٩. والفصل العاشر (عودة) ص ١١٣. والفصل الرابع عشر(من يكتب هذا المشهد..) ص ١٦١. والسادس =

**المكان:**

من سمات سرد ما بعد الحداثة؛ تداخل الأجناس الأدبية، وتعانق عناصر السرد بحيث يصعب الحديث عن أحد هذه العناصر منعزلاً عن غيره . " المكان لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد،وإنما يتدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات، والأحداث، والرؤى السردية، وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات، والصلات التي يقيمها، يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد. " (١)

ارتبطت الكاتبة بالمكان ارتباطا وثيقاً، ولم تملك أن تنسى أثره في حياتها، حتى بعد أن تجاوزت الستين عاما، وصارت قاب قوسين أو أدنى من الموت، تقول في (آخر ما كتبت): " كان النيل حاضراً بقوة في المشهد، أطل عليه من شباك غرفة نومي، ومن شرفة البيت، أتابع المراكب السابحة على صفحته، أطيل النظر في مجراه الواسع، وفي الكوبري المقام عليه . " (٢)

وإذا تتبعنا دلالة توظيف المكان في السيرة الذاتية للكاتبة؛ سنلاحظ أنها

---

=

عشر (في زمان الثورة) ص، وغيرها. وفي الكتاب نفسه مشاهد العلاج، فصل بعنوان(استراحة) ص ٨٣، وفصل بعنوان (الطابق السابع أولاً) ص ٣٥، وفصل بعنوان (أحياناً أشعر كطفل) ص٧٣. وفصل بعنوان (معجزة دافنشي) ص٨٩، وغيرها وكثرت المشاهد في كتاب الرحلة التي تناولت من خلالها، وصف الطبيعة، والمجتمع الأمريكي، والشارع، والجامعة، والناس، والمعالم السياحية: انظر الرحلة، ص ٧، ٢٢، ٢٣،٢٤، ٤٥، ٦٨، ٦٩، ٧٥، وغيرها.

(١) بنية الشكل الروائي، د/ حسن بحراوي، ص٢٦، ط١/ ١٩٩٠م، المركز الثقافي، بيروت– لبنان، والدار البيضاء.

(٢) أثقل من رضوى، ص ٢٥٦. والكاتبة عرفت، وتبدى من خلال كتابتها، أنها مولعة بالسفر والتنقل، فضلاً عن الرحلات الإجبارية التي فرضت عليها، كرحلتها العلمية، ورحلتها العلاجية إلى أمريكا، ورحلتها الثقافية العلمية إلى إسبانيا، ورحلتها العلاجية إلى الدنمارك، وكذا كثرة رحلاتها إليها في عطلتها الصيفية لزوجها بعد أن أقصي عن مصر. فتنوعت الأماكن تنوعاً ملحوظاً في سيرتها الذاتية، بين الفضاء المفتوح: الطبيعة، والمدينة (القاهرة، أمريكا، أوروبا) ، و الفضاء المغلق: البيت، الجامعة، والمستشفى.

كثرت كثرة يصعب حصرها، ومنها الآتي:

لم تكتف الكاتبة بالوصف الخارجي للمكان، وإنما أطالت في وصف الفضاء المكاني متعانقاً مع بقية عناصر الرمز، ومثقلاً برموز عدة، تعمق الرؤية السردية، و توجزها . ومن ذلك وصفها لمنزل السيدة (سكينة البرغوثي) أم زوجها، بعد أن ذهبت الكاتبة إلى بيتها عقب وفاتها، ورأت تلك الحديقة المتنوعة الأزهار، والثمار التي قامت السيدة على زراعتها ورعايتها بنفسها، فأسهبت في وصف الشجر والثمار، بعضها من الأردن، وبعضها من مصر، وأطالت في الحديث عن شجرات الزيتون الأربع، كرمز لفلسطين، والأربع هم أولاد السيدة، (مريد البرغوثي)، وأشقاؤه، وتصف لون السماء الأبيض، ثم تصف الضباب الكثيف الذي يكاد أن يصل الأرض، ربما كان الضباب رمزاً للحزن الشديد الذي سيسقط و يتلاشى مع الوقت على موت الأم. واللافت أن الباحثة أطالت في وصف الأشجار والنباتات [١]

وتقول في وصف طبيعة المدينة الأمريكية التي استقرت بها للحصول على الدكتوراة من جامعة (أمهرست): " رحنا نصعد إلى التلال الواقعة إلى شمال البلدة عبر سكك جبلية ملتوية، بين أشجار سامقة تحجب بأفرعها المتشابكة الكثيفة الخضراء ضوء الشمس.." [٢]

فلعل التلال رمز لتحقيق الحلم بالدراسة والحصول على الدكتوراة، والطرق الجبلية الوعرة هي تلك الصعوبات والعقبات، والشجر الكثيف السامق الذي يحجب ضوء الشمس؛ هم الزملاء متنوعو الجنسيات والديانات، والأعراق، والأخلاق .

**المكان والشخصية:**

يتلون المكان بنفسية ساكنيه، وتتبدى ملامح المكان كذلك على صفات ساكنيها .ونلمح المكان مبهجاً عندما تكون الشخصية مبتهجة، والعكس.

(١) ويبدو أن الاهتمام بالأشجار والنباتات كان لافتاً في رواياتها أيضا، انظر المنديل المعقود، د فاتن موسى، ص٩.

(٢) الرحلة، ص ١٣.

فتصف المطر، ليصبح كئيبًا قاتمًا عندما تكون وحيدة، في طريق العودة من مصر إلى أمريكا بعد انتهاء العطلة . على الرغم من أن الطريق يزخر بأشجار كثيفة متنوعة بألوان زاهية مختلفة، فتقول: " أجلس في الظلام منكمشة،أحدق في الحركة الرتيبة لمسّاحات المطر على الواجهة الزجاجية العريضة للأتوبيس، أمطار غزيرة، وليل موغل، لم يعد في الأتوبيس إلا السائق وأنا، وهذا المطر لا ينتهي. ولكن الطريق التي بدت عقاباً أبديًا توشك أخيراً على الانتهاء . " (١)

وفي رحلة العودة إلى مصر، تصف وقت الانتظار نفسه بأنه غير ممل، ويتحول الانكماش في المكان إلى انطلاق، ومرح، فتقول: " لم يبئسني إعلان تأخر إقلاع الطائرة لمدة ساعتين، فالليلة أنا في القاهرة، والليلة عيد، والمرأة لا تضحك وحدها بلا سبب، ولا ترقص هكذا فجأة وسط المطار المكتظ بالمسافرين، إلا إذا فقدت عقلها .."(٢)

وانعكست كثيراً صفات المكان على نفسية وطباع ساكنيه، فشخصيات أهل الريف قد تبدت في شخصية الأب، المتحفظ في تعليم البنات في الجامعة، والمتردد في سفر ابنته للخارج للدراسة، وفي شخصية عمتها، الحيية، قليلة الكلام، حاتمية الكرم .(٣)

وتصف بيت زميل لها في أمريكا، وصفا يعكس نفسية الشخصية،

---

(١) الرحلة، ص٥٨.

(٢) الرحلة، ص٥٥، ٥٦. ومن ذلك الحديث عن زحام القاهرة، وتقول عن الازدحام المروري العجيب في مدينة القاهرة: " ولأن القاهرة سبعة عشر مليوناً، وأنا لسوء الحظ، ابنتها، وأشبهها، تغدو الأزمات المرورية ملمحًا من ملامح حياتي اليومية، بل سمة من سمات دماغي، حيث تزدحم الأفكار والمشاغل وتتقاطع في اختناقات مرورية تُعجز أي عسكري مرور مهما بلغت مهاراته: أثقل من رضوى، ص٢٤١. بينما لا تشعر بأذى من الاختناق المروري في (نفق الأزهر) ، بل وتشدو بأغنية أم كلثوم لأنها عادت إلى عملها بعد رحلة العلاج، و استعادت صحتها وقدرتها على أداء المحاضرة بصورة ترضيها. فتقول: " ولو أن صوتي أقل قدرة على إنتاج النشاز، وإفساد الألحان، لانطلقت أردد أغنية (أم كلثوم) ...، غير مبالية بأبواق السيارات، ولا عوادمها، ولا الزحف البطيء داخل نفق الأزهر..."انظر :أثقل من رضوى، ص٢٤٢.

(٣) انظر المبحث الثاني من هذا البحث: الأنا / المرأة، والآخر/ الرجل نظر الصرخة، ص ١١٣. في وصف منزل الدكتورة لطيفة الزيات.

وسياسة البلد، فتقول: " على احد الجدران صورة فوتوغرافية مكبرة، بالأبيض والأسود (لغيفارا)، يركب حصانًا بين الأحراش، ويتألق وجهه، كأنما النجمة التي تزين قبعته الداكنة، وعلى الجدار المجاور مجموعة من الأسلحة الصغيرة: بندقية ومسدسان، معلقة بشكل متناسق، وجميل، وبمحاذاة الحائط المواجه له، لوحان من الخشب صفت عليهما الكتب."(١)

صورة زعيم من أشهر زعماء الحرية، والأسلحة المعلقة، والكتب. تحمل جميعاً مشهداً مختصرًا لسياسة أمريكا، وثقافتها. الحرية، والسلاح، والعلم .

ولعل في توظيف المكان لدى الكاتبة، أسراراً لا يتسع المقام لذكرها في هذا البحث . وهي بحاجة إلى دراسة مستوفية عند الكاتبة في نتاجها الإبداعي كله .

(١) الرحلة، ص١٣.

## المبحث الرابع:
## الهوية الأنثوية في نص السيرة الذاتية

**مدخل:**

أغلب من تحدث عن سمات أدب المرأة، تحدث عن سمات الأدب النسوي بمفهومه العام الذي يتمحور حول الاهتمام بقضايا المرأة، دون الاهتمام بالأدب النسائي الذي يقرأ نفسية المرأة، ويبحث عن أثر هذه النفسية في إبداعها، ومدى انعكاسها على لغتها، وبنية السرد لديها. ولا أجد نفسي مضطرة أن أتطرق لإشكالية نقدية كبيرة أثيرت حول خصوصية الأدب النسائي أو عدم خصوصية، ولا سيما وقد تمت معالجتها من قبل الباحثين . (١)'' ولكن ليس بإمكاني تجاهل اتفاق رؤيتي – بعد خوض غمار البحث– مع رؤية من قال: " حين نتحدث عن الإبداع النسائي، فليس معناه أن المرأة تدخل في صراع مع الرجل، من أجل إلغاء موقعه، أو تستثمر منطق الثقافة السائدة في أسلوب التهميش و التغييب، وإنما بهدف الدعوة إلى إعادة النظر في اللاتوازن الإنساني . (٢)

كما أنني أؤمن – مع من يؤمن– بأن الأدب النسائي، يحمل هوية المرأة إن تجاوزنا مضمونه وأفكاره، يحملها فنًا وأداة، انطبعت أغلبها بطبائع المرأة، ودارت في فلكها، والاختلاف بين الرجل والمرأة في الجوانب العقلية، والنفسية، والعاطفية؛ أمر لا ينكره منكر، والأدب لا يكون أدبًا، إلا إذا اختلط بروح الأديب، وعقله، وعاطفته، ونفسه، حتى إن خرج في مضمونه عن إطار ذاته . " إن الموقع الجديد الذي تأخذه المرأة داخل فعل الكتابة منتجة، وفاعلة، يجعلها تفعل في اللغة، والأسلوب، والتركيب الفني انسجاما مع شكل رؤيتها للأشياء باعتبارها ممارسة لفعل الإنجاز . وبهذا فهي تؤسس عالمًا حكائيًا يخضع في نسيجه لتركيب أسلوبي مستمد من شكل تعامل المرأة مع القضايا. "(٣)

---

(١) انظر: المؤثرات الغربية في تشكيل صورة الرجل في الكتابة النسوية (عينات مختارة) أطروحة دكتوراة في اللغة والأدب العربي، للباحث/ زاوي محمد، جامعة غرداية،، الجزائر، ٢٠٢٢م.

(٢) السرد النسائي العربي مقاربة في المفهوم والخطاب، د/ زهور كرام، ص١٨٥.

(٣) السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، د زهور كرام، ص١٨٥.

سيعنى هذا المبحث، بإلقاء الضوء على سمات المرأة، وخصائصها، كما تجلت في السيرة الذاتية للكاتبة، من حيث المضمون، والأفكار، والبنية السردية، كما تراءت لي، بوصفي امرأة – وجدت بعضًا من نفسي بين سطور سيرتها الذاتية– قبل أن أكون باحثة تقرأ، وترصد، وتوازن، وتستنبط، وتعلل، في محاولة للوصول إلى نتيجة بحثية أثارت تساؤلات ألحت عليها . ومن خلال هذه الممارسة النقدية استطعت – بعون الله – أن ألتقط من بين زحام الأفكار وتداعيها، بعض السمات العامة التي تعكس شخصية الأنثى كما رأيتها، ومنها ما يلي:

١- الذكاء الأنثوي الذي مكن الكاتبة من الانحياز للمرأة دون التغني ببعض المفاهيم التي كثر دورانها في الأدب النسائي نحو: القهر المجتمعي، وسلطة الرجل، والمجتمع الذكوري ..وغيرها . فتسللت إلى عقل القارئ بمداعبتها المعهودة، وحاورته، وجادلته، وتحدثت بلسانه وردت على حديثها المتخيل، ثم عرضت ما عرضت من قضايا المرأة مخاطبة متوجهة بالخطاب إليها أكثر من الرجل [١]

٢-تكرار استدعاء النصوص، والمواقف للمعنى نفسه، والغرض نفسه، فكررت الحديث عن لوحة (الجرنيكا) أكثر من مرة، وللغاية نفسها [٢]، ورددت الأغنية الشعبية الجماعية السوداء (أحياناً أشعر كطفل) في أكثر من موضع من سيرتها [٣]، ولا يخفى على القارئ أن تكرار الحديث عن

(١) انظر: أثقل من رضوى، ص ٢٨٧، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٢،٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٦٥، ٣٦٧. والصرخة، ص ٨٠.

(٢) انظر: الرحلة، ص ١٤٤، و أثقل من رضوى،ص٢٩١.

(٣) انظر: الرحلة، ص٢٥. وأثقل من رضوى، ص ٧٤. وكذا كررت عبارة الكاتب المسرحي سعد الله ونوس عن المرض عندما قال: (أسوأ ما في المرض، أنه يكسر الكبرياء.) في أكثر من موضع من السيرة، انظر أثقل من رضوى، ص ٧٩، والصرخة، ص ١٩. وكررت الحديث عن الأم وصفاتها، والأب، دون إضافة جديدة، كما تحدثت عن كثير من الأحداث التاريخية أكثر من مرة، مثل الخديوي إسماعيل وقصر الزعفران. *ظاهرة التناص تجتاح السيرة الذاتية للكاتبة، وقد تم تناولها في بحث بعنوان: كتابة الذات والوطن في مذكرات رضوى عاشور، د/ هالة كمال، انظر: المنديل المعقود، ص٨٠.

الأمر الواحد دون فائدة كبيرة؛ هو طبع أنثوي لا تجد المرأة نفسها تفسيراً مقنعاً له.

٣-كثرة التداعي لبعض المواقف والأفكار في خضم مواقف وأحداث مشابهة، فتسترجع الكاتبة حدثاً أو موقفاً من الذاكرة، في سياق موقف أو حدث متشابه معه، لتوازن بين شخصين، أو حدثين، أو موقفين، أو بلدين .." يلعب السرد الاسترجاعي دوراً أساسياً في الكتابة النسوية، حيث يمثل جزءًا لا يتجزأ منها، وهذا الرحيل داخل الذات تحسنه المرأة، حيث تجبر ذاكرتها على طرح مخزونها، وهذا ما يعرف عند النقاد باسم التداعي ." (١)

ومن ذلك التداعي ذكر موقف الأب وهي بصدد الحديث عن فرحة زوجها بنجاحها في الحصول على الدكتوراة، فتقول:" تلتقي عينانا، فيربت على كتفي، ويهمس: مبروك! فأبتسم له، وأتذكر أن أبي ظل حتى وأنا على وشك الانتهاء من دراستي الثانوية، موزعاً بين رفضه لالتحاقي بالجامعة، و حماسه لتفوقي الدراسي .." (٢)

٤ -تداخل الموضوعات في سرد الكاتبة، والوقفات السردية الطويلة، والكثيرة؛ ظاهرة ملموسة للقارئ دون تأمل، ولكن قدرة الكاتبة على توظيفها -في الغالب- يحول دون ملل القارئ من كثرتها وطولها، وحتى تلك التي أقحمت في السرد دون غاية، استطاعت الكاتبة بأسلوبها ومحاورتها للقارئ

---

(١) السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل: روايات (فضيلة الفاروق) أنموذجاً، أطروحة ماجستير للباحثة/ خديجة حامي،، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات – الجزائر.ص ١٩٦، ٢٠١٣م.

(٢) الرحلة، ص ١٦٠، ١٦١. و تسهب في وصف ذلك اليوم الذي سيصل فيه الحبيب والزوج إلى أمريكا، فتهتم بتفاصيل الغرفة، وإعداد الطعام، وارتداء ملابسها، والعناية بجمالها، في مشهد مبهج مثير، ثم لا تلبث أن تتداعى الذكريات، ويموج وجدانها بلحظات الفراق بين الحبيبين في المطار، أكثر من مرة، كأنما تعلن الانتصار على ويلات الفراق بأشواق اللقاء، فتقول: " كم مرة يا مريد افترقنا؟ وكم مرة سوف نلتقي؟ وتلك الغصة في الحلق ساعة يمضي واحدنا إلى داخل المنطقة الجمركية، ليجلس متجاهلاً ذلك الثقل المتزايد بأسفل المعدة...وعبر الواجهة الزجاجية لقاعة الانتظار، ألمحك تأتي،.. "الرحلة، ١١٩.

وانظر: الرحلة، ص ١٥٨. ومن ذلك استدعاء الكاتبة لذكر أمها واحتياجها إليها، في محنة مرضها، انظر: أثقل من رضوى، ص ٣٦٢. وانظر نفسه: ص٩٥، ١٢٥، ١٧٧.

أن تدفع عنه الضجر أو الملل . ومن ذلك السير الغيرية لبعض النساء، والأحداث السياسية، والأحداث التاريخية، ووصف لوحات الفن التشكيلي، وصفاً مطولا، والمتاحف، والأماكن دون كبير فائدة تعود على البنية السردية . وقد أفردت فصولاً كاملة لهذه الوقفات المطولة أدت إلى خروج السيرة الذاتية للكاتبة – في بعض المواطن– عن أهدافها، وغاياتها، فضلا عن كونها ترهلت وتهرأت في كثير من مواطنها . وتداخل الحديث عن موضوعات كثيرة في وقت واحد، ومقاطعة الكاتبة نفسها بنفسها لتقف وقفات مطولة في موضوع لا صلة له بمضمون السرد، هي صفة أنثوية – على الأغلب –

٥– غلبة العاطفة الأنثوية التي تندفع أحيانا دون تريث، و تتقن التمرد على أوضاع خاطئة دون أن تمتلك رؤية محددة المعالم فيما تنتقده . والتطلع غير المنضبط للحرية بكل صورها، دون مراعاة التمايز بين الشرق والغرب، ففي السياسة تجد الكاتبة ساخطة ناقمة على كل الحكام تقريباً في العالم العربي والغربي، انتقدت السياسة العربية، والمصرية، والأوربية، والأمريكية، ومن يستدر عطفها، وينال رضاها هم الثوار فقط في كل زمان وفي كل مكان . وفي الرؤية المجتمعية، أثنت على اللوحات العارية، والمتاحف في الغرب، وشاركت زملاءها الرقص في الاحتفاليات بأمريكا، ولم تبد انزعاجها من رؤية الاختلاط بين الشباب والفتيات في الجامعة بأمريكا، وتلك الملابس شبه العارية، والقبلات المتداولة بينهم، كما أزعجتها بقية أدواء المجتمع الأمريكي التي تحدثت عنها كثيراً بسخط وانتقاد .

ولعل هذا دأب جلّ دعاة الحرية ممن يشبهون الكاتبة، ولكن الرفض لأجل الرفض؛ ودون أن يتبنى الرافض رؤية حقيقية للإصلاح؛ لا شك اندفاع أنثوي– في الغالب– وسعي خلف إثبات الحضور الفاعل للذات .

٦–موضوعية الكاتبة في تناولها لذاتها، تحدثت عن نفسها، وصفاتها، وعيوبها بصورة لافتة، وإن كان مصطلح(أدب الاعتراف) لا يختص به أدب جنس دون آخر، ولكن اعترافات الكاتبة تتعلق بصفاتها النفسية، التي قلما يعترف بها الإنسان عن نفسه في نفسه، فضلاً عن أن يصرح بها، وإنا

لنطالع في أدب الاعتراف عند الكتاب رجالاً ونساءً، ذكرهم لبعض السلوكيات المشينة، وارتكاب بعض الحماقات، والتراجع عن بعض الأفكار والقناعات، أما من يعترفون بصفاتهم النفسية كالتوتر، والعصبية، وفقدان الثقة بالنفس، والعناد، والتسرع، والازدواجية والتناقض..، فهم قلة قليلة من ذوي السواء النفسي ممن لا يجد حرجا في الحديث عن عيوبه، وضعفه البشري، وتعرية مساوئه التي قد تدفع كثيراً من القراء إلى تقبل ذاته، والثقة فيها(١)، والتقليل من شأن الذات، وهضمها حقها بهذه الصورة التي تبدت عند الكاتبة؛ عز أن نجد له نظيرا في السيرة الذاتية عند الرجل .

٧-من سمات المرأة التي تجلت عند الكاتبة؛ الميل إلى الإبانة والتوضيح عن كل ما يجول بخلدها، ويطوف بعقلها. والمرأة – بتكوينها النفسي- تنبثق في عرض ما تشعر به، لا تستطيع كتمانه، وربما لا يوجد ما هو أثقل على قلب امرأة من اضطرارها إلى الصمت الذي ينخر قلبها. وإذا كانت المرأة بقيمة الدكتورة رضوى بتكوينها النفسي والعلمي، فلا غرو أن تلجأ في كتاباتها الإبداعية إلى الرمز الشفيف، والغموض الذي يحمل دلالات عدة، تضفي على الكتابة جلالاً، وعلى القارئ شغفاً وإقبالاً. ولكن شخصية الأنثى تأبى أن تجنح إلى الغموض، فلا تلبث أن تفسد الرمز بالشرح والتوضيح، ربما لخوفها من عدم وصول مرادها إلى القارئ، فتلح عليه إلحاح الأم التي لا تفتأ توصي أطفالها وترشدهم حتى بعد رشدهم .

ومن ذلك شرحها لعنوان كتابها:(أثقل من رضوى)، ما ضرها لو تركت الأمر للقارئ يتأمل سيميائية العنوان، ويصل إلى دلالتها بنفسه ؟(٢)

وأحيانًا يجد القارئ تفسيراً لأحد المصطلحات أو الألفاظ لا يخفى، وإنما هي رغبة الأنثى في الإفصاح عن كل أمر، ومن ذلك قولها في

(١) وانظر فصل (أستاذة في التنكر) أثقل من رضوى، ص ٣٧٧، ص٣٠،٣١، الصرخة ص١٧. حيث تتحدث الكاتبة عن عيوبها، وتناقضاتها.

(٢) انظر: أثقل من رضوى، ص ٦. وانظر: رمزية أشجار الزيتون في الصرخة، ص٩٣، ولكنها كثيرا ما أطلقت الألفاظ التي تحمل رموزا في عنوان أكثر من فصل، دون توضيح، انظر: أثقل من رضوى، ص ٢٧٩، و ص ٢١٣.

حـوار مـع القـارئ / الرجـل: " هـل تحـاولين إرضـاء النسـويات مـن القارئـات؟ حلمـك يـا سـيدي القـارئ! "[١]، وتفسـر الكاتبـة بـين قوسـين معنى النسوية، وهل يخفى معنى النسوية على القارئ؟!

٨-ومن معالم الهوية الأنثوية؛ بوح الكاتبة -أحيانا – بما يدور بعقل المرأة من صراعات وترهات لا تلبث أن تزول، فتعترف بفقدان الثقة بالنفس، والخوف الشديد الذي تخفيه قبيل مناقشة الدكتوراة، فتقول عن إحدى الصور التي التقطها لها زوجها في رحلة قبيل مناقشة الدكتوراة: " سوف يظهر (في الصـورة)حتى حـذائي البنـي الصـغير، الـذي لا يلمـس الأرض. ولكـن لا شيء مما يضطرم في المكان أو في نفسي سوف يظهر! " [٢]

وتبوح بوحاً أنثوياً من فرط ضغط العمل بالجامعة، ولجنة ترقيات الأساتذة، فتريد أن تسقط نفسها في النيل ! فتقول: " ..ثم حين يسقط الفأس في الرأس، وأنتبه والماء يغمرني أنني أغرق! أعض بنان الندم، لأن قرار التخلص من حياتي لم يكن مقصوداً، بل جاء في لحظة مفاجئة من يأس وبؤس.." [٣]

ولا يخفى على كل امرأة، ما يتفوه به لسانها من كلمات تحت وطأة ضغوط العمل وأعباء الحياة، كما لا يخفى أن خلط الحزن بالفكاهة، والألم بالسخرية أكثر حضورًا عند المرأة، ومن ذلك مقاومة الألم بالسخرية، فتسخر في ردها على صديقة لها بعد رحلة سفرها للعلاج للمرة الأولى: " أخبرتها أنني في واشنطون لأن عندي (برتقالة في رأسي) . حكيت لها عن الورم( الثابت والمبدأي)، الذي استأصلته عدة مرات من قبل، ولكن هذه المرة (ربنا طرح فيه البركة فتفوق على نفسه، فتركته يأخذ راحته، فكبر بشكل يدعو للإعجاب .." [٤]

وتقول عن رحلتها إلى الدنمارك لإجراء آخر عملية جراحية، وقد ثبت

(١) الصرخة، ص ١١٩.

(٢) الرحلة، ص ١٥٥.

(٣) أثقل من رضوى، ص١٣٩، ١٤٠.

(٤) أثقل من رضوى، ص ٣٨.

الأطباء في رأسها تركيبة طبية من الحديد، تمسك برأسها بعد إجراء العمليات الجراحية الدقيقة، تقول ساخرة بأن الأطباء قرروا أن يكللوا صبرها بهذا التاج المثبت في الرأس: " إن هذا التاج هو شكل ما بعد حداثي للرقعة، فبدلا من الرقعة الأولى الحداثية؛ استخدم الأطباء في خطوة مناسبة للعقد الثاني من الألفية الثالثة هذه المواسير الحديدية (فضلة خير السباكين) ! " (١)

٩- من سمات المرأة الارتباط الشديد بالمكان، والخصوصية في استدعاء الزمن، وتحتفظ ذاكرة المرأة بالزمان والمكان دون النظر إلى كون العلاقة معهما تحمل بعض الذكريات المشرقة أو القاتمة. ومن ارتباط الكاتبة بالمكان، وصفها لمكتبها بالكلية بعد عودتها من رحلتها العلاجية، فتقول: " لو عانقت المكتب، أو قبلته كما قبلت زميلاتي، لقالوا: رضوى فقدت عقلها، تطلعت إليه، وقدرت أنه سيفهم التفرقة الاضطرارية في المعاملة." (٢)

أما عن الزمان، فهناك بعض الأزمنة التي لا تخرج من عقل المرأة وقلبها، إلا مع خروج الروح، تحمل بعض الأحداث والمواقف التي اهتز لها قلبها اهتزاز الخائف المرتجف، أو الراقص الطرب. وعجيبة هي قدرة المرأة على استرجاع بعض الأزمنة وربط بعض الأحداث بالزمن نفسه، والبحث عن المفارقات فيه، تقول:" لا أفهم الصدف، أتأملها، وأفشل في فهمها. ولا أعني الصدفة كظاهرة، بل تصادف تواريخ أمرين دالين، أو تصادف حدوث أمر حزين مع آخر سعيد أو العكس، في اليوم نفسه من ذات السنة، أو بعدها بسنوات، كأن أفقد والدي يوم عيد زواجي .." (٣)

---

(١) الصرخة، ص ٥٠.

(٢) أثقل من رضوى، ص ١٣٧. وحديثها عن شارع مدرسة الحرية، على الرغم من ذكرياتها السيئة في هذه المدرسة التي غادرتها في طفولتها، ورفضت استكمال تعليمها فيها. انظر: أثقل من رضوى، ص ١٢٥، ٢٢٥.

(٣) أثقل من رضوى، ص ٤٧. وانظر نفسه: ص٢٤. ومن ذلك قولها عن نزولها ميدان التحرير للمرة الأولى بعد عودتها في مايو، وصودف أنه تاريخ ميلادها.* وليس العجيب تكرار الأحداث في اليوم نفسه، وإنما تأمل المرأة لذلك، وملاحظتها له، وترديدها إياه. انظر أثقل من رضوى، ص ١١٤.

١٠-**اللغة** – ثمة خلاف بين النقاد على وجود خصائص للغة السرد بين الجنسين، وليس هناك محل لعرض هذه الإشكالية في هذا البحث، وإنما سأعلن انحيازي – وقد أوشكت على إتمام هذا البحث- إلى رأي من رأى بأن لغة المرأة، تحمل خصائصها النفسية، بصورة تجعلها تختلف عن لغة الرجل، وتنفرد بعدد من السمات، منها ما يلي: (١)

١-**التلاعب بصيغ السرد بين ضمير المتكلم و المخاطب**، و لا غرو في الحضور اللافت لضمير المتكلم، لأن السيرة الذاتية، هي كتابة الذات، وتستوي في ذلك السيرة عند الرجال والنساء، بينما اللافت في أدب النساء عامة، والكاتبة خاصة هو تكرار ضمير المخاطب الذي يدل على تفاعل الكاتبة مع القارئ/ة، ومحاورته، ومناقشته، والرد على تساؤلاته المتوقعة، بل ومعارضة رأيه الذي توقعتْه أحياناً، " تكثر بعض النساء في أحاديثهن من الضمائر: أنا، لي، أنتِ، أنتَ، لكِ، لكَ، نحن، لنا، مما يضفي تواصلاً وتفاعلاً على الحديث، فالمرأة تظهر اندماجاً أكثر من الرجل، وتتوجه بحديثها للمخاطب/ة أكثر من الرجل. "(٢)

وجاء ميلها إلى مخاطبة القارئ لغاية سردية، وسر يقتضيه مضمون الكتابة، ومن هذه الأسرار: خشية الفهم الخاطئ لحديثها، فتسارع بالتوضيح، و محاورة القارئ، نحو قولها: " أتوقف عند الفقرة السابقة، وأفكر في حذفها، أخشى أن يلتبس الأمر على القارئ، ويظن أنني ألمح بشكل أو بآخر لتلك الحجة .." (٣)

ومنها: شعورها بالقارئ، وخشيتها من أن يصيبه ملل أو ضجر من

---

(١) انظر: اللغة والجنس، د/ عيسى برهومة، ص ١١٨، ١١٩، وانظر: الكتابة النسائية: أسئلة الاختلاف..وعلامات التحول، للباحثة/ فاطمة مختاري، ص١١٨، ١١٩، رسالة دكتوراة في الأدب الحديث، ٢٠١٤م، مخطوطة بجامعة قاصدي مرباح – الجزائر.

(٢) اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، د/ عيسى برهومة، ص١٢٧، ط١/ ٢٠٠٢م، دار الشروق، عمان – الأردن.

(٣) أنقل من رضوى،ص ٦٦. وانظر: اللغة والجنس، د/ عيسى برهومة،ص١٢٩، حيث يستدل بأقوال النقاد في الغرب على أن كلام المرأة يبدو أكثر تأدباً من كلام الرجل.

تكرار الحديث بكل تفاصيله عن المرض والمستشفى، فتأتي بفصل عنوانه (استراحة) تحاول فيه أن تلقي ببعض المواقف الفكاهية حتى تخفف من حدة الأحداث، فتقول: " أجهدت القارئ والقارئة، وأثقلت عليهما، وهناك احتمال أن يتركا الكتاب وينصرفا عنه. " (١)

**٢-لغة الكاتبة أتت يسيرة واضحة تميل إلى التبسط** – مثل كل النساء– لأن هدفها هو نقل الشعور، ولا يقف القارئ لسيرتها على جملة عصية على الفهم، أو لفظ يوحي بالاستعلاء، على الرغم من تكوينها العلمي والثقافي، وإتقانها أكثر من لغة، " تميل المرأة إلى الألفاظ السهلة، واللينة المأخذ، أما الرجل، فيُشرب حديثه ألفاظاً صعبة ومعقدة، وقد يعود ذلك إلى أن المرأة تبتغي التأثير والتواصل مع المخاطبين والمخاطبات، أما الرجل فهو أميل إلى استعراض معارفه، و إبداء تفوقه ." (٢)

ولعل ما يعزز هذه الرؤية؛ كون الرجل ينطلق من المنافسة مع غيره من الكتاب، وقدر الرغبة في التعبير عن الذات الذي تنطلق منه المرأة . ومن مظاهر التبسط في لغة المرأة؛ تكرار بعض الألفاظ التي تعكس نفسية الأنثى، وميولها، وتظهر عفويتها. فالمرأة أكثر ارتباطاً بالأسرة والعائلة والاهتمام بصلات القرابة، والبيت، والذكريات، والمناسبات الاجتماعية، والأطفال. (٣)

وتتبدى عفويتها في حديثها البسيط عن نفسها بلغة تجمع فيها بين العامية والفصحى، حيث تلجأ إلى بعض الألفاظ العامية التي تحمل بعداً اجتماعيا وفكرياً لا يغني عنها في مقامها سواها، نحو قولها: " يا سيدي القارئ

---

(١) أثقل من رضوى، ص ٨٣، ٣٦٧. وغلب توجيه الخطاب إلى المرأة في (أثقل من رضوى) ، وقد مر الحديث عن ذلك في المبحث الثاني، بينما كثر توجيه الخطاب إلى الرجل في (الصرخة) لأنها تناولت فيه عدداً من السير الغيرية لبعض النساء، ولأنها تعلم أن الكتابة النسائية تقع في مرمى الاتهام بهذا الانحياز؛ فأخذت تداعب القارئ/ الرجل حتى لا تثير انفعاله بهذا الانحياز السافر للمرأة نحو قولها: " أعرف يا عزيزي القارئ أنك تستغرب أو ربما تتزعج من أنني أفردت فصلين للكتابة عن نساء...، أكاد أسمعك (تبرطم) : أين الرجال في نصك ؟ : انظر: الصرخة، ص ١١٩.

(٢) اللغة والجنس، د/ عيسى برهومة، ص ١٣١.

(٣) انظر: أثقل من رضوى، ص٥، ٢٥، ٢٦، ٦١، ٨١، ١٢٥، ٢٥٥، ٣٨٧.

...كف إذن عن برطمتك، واتركني أواصل العمل دون إلحاح." [١]، وقولها: " أخبرتك يا سيدتي القارئة أنني أشعر بالذنب لما حملته لك في الفصلين السابقين، ولما سببته لك من احمرار الأنف، والتهاب الجفنين، والاستهلاك المفرط للمناديل الورقية ." [٢]، وقولها: " قلت: يا ابني يا حبيبي ..اطلب نسخة أعطيك واحدة، أنا أقوم بتوزيعها . رمقني بنظرة يقصد أن تكون مخيفة. "[٣]

وتوظيفها لكثير من الأمثال الشعبية، والأغاني المصرية نحو أغنية (صورة) كلمات صلاح جاهين[٤]، وقولها: (لقمة هنية تكفي مية) ومثل ذلك كثير[٥]

٣- **الجمل القصيرة دون فواصل**، توصل غير واحد من علماء اللغة بأن من سمات اللغة عند المرأة:" تستخدم في لغتها جملاً قصيرة، وأقل تعقيداً، ويميل الرجل إلى الجمل الطويلة التي تنطوي على التعقيد، والتجريد، والافتراض؛ ليتمكن من السيطرة على الكلام، ولفت الأنظار. "[٦]

والنتيجة نفسها أقرها بعض من درس السرد النسائي، " وقد استعانت الروائية بجمل إسمية قصيرة؛ لتنقل للقارئ العربي رؤاها للواقع عن طريق جمل متلازمة تخلو من أدوات الربط، يغزوها البياض، والنقاط المتتابعة، وتعكس لنا الانفعالات الأنثوية، ضمن الإيقاع السردي..." [٧]

ومن ذلك قولها عن أول أيامها في رحلة العلاج بأمريكا: " غرفة صغيرة لا تتجاوز مترين في متر ونصف، خلعت معطفي، وكذلك فعل تميم، علقناهما على مشجب ما، دخل شاي أسيوي الملامح، سألني أسئلة محددة، هل أسمع

(١) أثقل من رضوى، ص١٢١.

(٢) أثقل من رضوى، ص ٣٦٧، وانظر نفسه: ص ٣١٣.

(٣) أثقل من رضوى، ص ١٣.

(٤) انظر: الرحلة، ص٥.

(٥) انظر: أثقل من رضوى، ص ٤٧.

(٦) اللغة والجنس، ص١٣٣.

(٧) الكتابة النسائية.. أسئلة الاختلاف، وعلامات التحول، رسالة دكتوراة للباحثة، فاطمة مختاري، ص٢٧٢.

جيداً، هل أصاب بزغللة في النظر، هل أعاني من صداع، اجيب بالنفي، يدون إجاباتي." [١]، كأنما أصابتها شدة الموقف بالفزع الذي أفقدها القدرة على الوصف والبوح، فآثرت الإيجاز، واكتفت بسرد الجمل متلاحقة، منفصلة.

٤-**غلفت لغة الكاتبة بالرقة الأنثوية**، وصارت في كثير من المواطن أقرب إلى لغة الشعر من النثر، ليجد القارئ بعض وسائل التصوير في بعض الجمل التي لا يستطيع أن ينفك من أسرها، نحو قولها في وصف بستان: " وكأن الشجرة الواحدة قد حلت فيها كل حالات الوجود، عرس من الألوان. "[٢]

وقد كانت شاعرية اللغة سمة من سمات الكاتبة في سيرتها وكل أعمالها الإبداعية، وقد نشرت مواقع التواصل كثيراً من الاقتباسات من بعض ما كتبت، نحو هذه الجملة ذائعة الصيت التي ختمت بها كتاب (أثقل من رضوى): " هناك احتمال آخر لتتويج مسعانا بغير الهزيمة، ما دمنا قررنا أننا لن نموت، قبل أن نحاول أن نحيا. "[٣]

٥- **يتلمس القارئ قدرا من الصراع والتوتر الذي ينتاب الكاتبة**، لا سيما وقد اعترفت بفقدان الثقة بالنفس، والحق أنها سمة النساء في كل مجال، فقدان الثقة بالنفس، والركض، والخوف من الرفض، والخوف من النقد، والخوف من الإخفاق، والشعور الدائم الذي يلتف كحبل خانق على عنق كل امرأة من مخافة الوقوع تحت مقصلة نقد الرجل التي تقف بالمرصاد لرؤوس الأقلام النسائية، وربما تعد سلفاً قبل البحث والتأمل في نتاج المرأة. ألحت

---

(١) أثقل من رضوى، ص ٣٥.

(٢) الرحلة، ص ٢٢. وقولها: " لم يتوغل الشتاء بعد، ولم تتعر الأشجار من أوراقها. " | الرحلة، ص ٣٧. وقولها: " وتأتيني كلمات مريد كقبلة على الجبين، تباركني. " / الرحلة، ص ٢٤، وقولها: " كانت القصيدة لي، مرآة مسحورة، مد لي مريد بها يده عبر المسافة، وقال هي لك! فهل هذه حقاً أنا؟ كانت رضوى القصيدة كزرقة النار صافية، ومطلقة، وقفت أمامها موزعة بين الزهو والحياء، ولا زلت ! " | الرحلة، ص ٤٢.

(٣) أثقل من رضوى، ص ٣٩٣. وقد تناولت الحديث عن شعرية اللغة عن الكاتبة، الدكتور مؤمنة حمزة عون، في بحث لها بعنوان: أطياف ما بعد الحداثة في نص السيرة الذاتية: أثقل من رضوى في الميزان، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، ص ٢٩٦٤، ج٤/ ٢٠١٦م.

الكاتبة أكثر من مرة على هذا الأمر، ومن ذلك قولها: " على مدى ثلاث سنوات، كنت الأولى على صفوف الفرق الدراسية، ومع ذلك بقي السؤال معذِبًا للطفلة، والصبية. تفتقد الثقة في الذات، وتجتهد لتؤكد لنفسها أنها تستطيع أن تفي بالمطلوب، هل هو شيء في الجو يصيب البنات؟ أعني الثقة والتساؤل عن القدرة.." (١)

تجلى الصراع في كل مقاطع السيرة الذاتية للكاتبة، صراع مع المختلف سياسياً وصراع مع المستعمر، وصراع مع الغربة، وصراع مع الفساد الإداري، والبحث عن الحقوق والحريات، وصراع مع الأسرة عندما رفضت زواجها ثم سفرها لأمريكا، وصراع مع المرض ..كأنما كانت سيرتها محاولة أخيرة للتخفف من وطأة الصراع، تقول: " الركض حالة أعيشها دائما ."(٢)

وجدير بالذكر أن الكاتبة تعففت عن ألفاظ الجنس، والجسد، لعل شيوع هذه المصطلحات مما اتهم به الأدب النسائي. و رضوى المحبة هي تلك الطفلة التي يجسد لها الحبيب كل معاني الأمان في غربتها، على الرغم من تباعد المسافة بينهما، ولكن، وحدها رسائل (مريد) وقصائده هي من تهدئ روعها، وتبدلها من بعد خوفها أمنا، ومن بعد غربتها، أُنساً، وتبث فيها الحياة، فتصف شعورها عند انتظار رسائله بأمريكا، كانت تمر بصندوق البريد في مسكنها عدة مرات في اليوم الواحد، ثم تفتحه وتعيد النظر فيه، ثم تنصرف حزينة، وعندما تجد فيه رسائل مريد؛ تتحدث كمراهقة، وتتصرف كطفلة، تقول:" هذا الصندوق الصغير صار طيباً، لا أنسى عطاءه، ...أفتح الرسالة، وأبدأ في قراءتها، وأصعد درجات السلم المفضي إلى حجرتي.." (٣)

وهي الحبيبة التي لا يمنعها قسوة الشعور بالوحدة والغربة من الإشفاق على الحبيب، والشعور تجاهه بالذنب، بعد أن تركته وحيداً غريباً في مصر، ثم

(١) أثقل من رضوى، ص ٢٦٢، ٢٦٣. وانظر: الرحلة، ص ١٥٥. وانظر: الصرخة، ص ١٨.

(٢) الرحلة، ص ٣٥.

(٣) الرحلة، ص٢٤.

سافرت إلى أمريكا، فتقول:" تحمس لسفري، وشجعني، ولكني أعرف أنه ساعة أدار المفتاح في الباب، ودخل البيت، داهمته الوحشة، فكيف أردها عنه؟ يقول في رسالته: (حين سافرت، سافر الوطن مرة أخرى.) وهو لا يعرف أن هذه الرسائل كانت في الغربة لي هي الوطن، أمامها يتراجع الشعور بأنني أنفلت ضائعة. "(١)

ولم يكن الحديث عن الجسد والجنس من سمات الأدب النسائي عند الكاتبة، كما كان عند غيرها من الأديبات، وما أتى منهما قد أتى عفو الخاطر، موظفاً كوسيلة لغاية، وليس هو الغاية نفسها، ومن ذلك حديثها عن الوحدة والغربة والانتظار أثناء رحلتها العلمية، فتقول: " يتوغل مارس و ينقضي، ويأتي إبريل بالأمطار الغزيرة، وآلام الروماتيزم المبرحة، هل هي قسوة إبريل حتى يقلب بشبقه المطري مواجع الجسد المحروم، أم أنه حنين الجسد لطمي تربته السهلية فاض إلى حد الوجع؟ "(٢)

وحديثها عن الجسد المحروم أمر غير مستغرب على الكاتبة التي أبانت عن كل ما في نفسها، وصرحت بمواطن قوتها ومواطن ضعفها، وليس ثمة إثارة أو نية في الحديث عن الجنس، وإنما تصريح بالاحتياج الفطري، وربما عزوفها عن الإشارة لهذا الاحتياج على هذا النحو؛ هو ما يثير التساؤل والشكوك حول ادعاء القوة، والشجاعة، والمضي قدما في طريق البحث العلمي، والاندماج مع المجتمع الأمريكي المتحرر، دون أن تكترث باحتياج الجسد الذي لا ينكره إلا مكابر/ة.

وعند وصف لقاء الزوجين الحبيبين، عندما سافر إليها زوجها في نهاية العام، قبيل حصولها على الدكتوراة، حتى يشاركها فرحة النجاح – لم تكن الكاتبة عاجزة عن وصف هذا اللقاء الذي يتبارى في وصفه الأدباء رجالاً و نساءً، و يعدونه وجبة شهية للقارئ، و استمالة لمشاعره، و تحدياً قويا للملل و الرتابة، وحافزاً تجارياً يحقق الربح والانتشار في المجتمع العربي، ولكنها مرت

(١) الرحلة، ص ٢٤.

(٢) الرحلة، ص١٠٨.

سريعاً على هذا المشهد، تقول: " وفي حجرتي بالجامعة نتبادل القبلات، والأخبار." (١)

فوصفت المشهد بعفوية وصدق وواقعية، وكانت صادقة لأنها أبانت عن شخصيتها دون وعي، حينما وصفت اللقاء (بالثرثرة)، و قولها: (نتبادل القبلات والأخبار) وهي تقصد الأخبار السياسية والأحداث المجتمعية الكبرى لوطنها البعيد مصر، وهذا ما أبانت عنه بقية الصفحات، ومن فرط اهتمامها وتعجلها لسماع هذه الأخبار؛ سوت بينها وبين (القبلات) التي جمعت بين الزوجين بعد طول غياب!

تقول في لحظة تداعي للذكريات حينما يلح أصدقاء الأسرة عليه حتى يلقي بعض قصائده: " لا يبدو مريد خجولاً، ولكنه خجول. لم يعتد قراءة الشعر للضيوف...، لم يتغير صوته، ما زال رخيماً فيه عمق وجمال. شعره الفضي تماماً، والناحل قليلاً مستجد. كبر مريد . لا أتمثل الأمر، لأنني حين أتطلع إليه، أراه و أرى الولد في مطلع عشرينياته، ونحن طلاب في الجامعة. "(٢)، هذه هي المرأة، وهي على مشارف الموت، يموت فيها كل شعور، خلا شعور الحب، وتموت فيها كل رغبة، خلا الرغبة في التعبير عنه.

(١) الرحلة، ص ١١٩. وفي نهاية الحياة، وعلى مشارف الموت، لم تتغير نظرة الزوجة والحبيبة إلى الزوج، ولم تفتر مشاعر الأنثى من المحبة والمودة، والتراحم، بل تضاعفت بعد تجربة الأمومة، وكانت أماً بارة حانية، مقدرة لمعروف الابن وبره، مشفقة عليه. ومن ذلك قولها عندما أنتقدها أخوها في أسلوب تربيتها لابنها (الشاعر تميم البرغوثي) ، وأنها أكثر لينا عليه مما يجب، تقول:" أبتسم، و أغير الموضوع، لأنني أعتقد أن تربية تميم العصبي بالفطرة والوراثة، يجب ألا تتضمن قمع توتره وحيويته، فتتحول إلى أمراض، لا أريده مثلي" انظر: أثقل من رضوى،ص٣٧٩.

(٢) أثقل من رضوى، ٣٥٠. انظر: أثقل من رضوى، ص ٣٢٧. ومن يطالع السيرة الذاتية للشاعر مريد البرغوثي: كتاب: رأيت رام الله، وكتاب: ولدت هنا ولدت هناك. سيقف على صدق الكاتبة، وعمق العلاقة بين الزوج،والزوجة، والابن.

# الخاتمة

وبعد، فقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، والتوصيات على النحو الآتي:

- لعل أكثر ما يميز فن السيرة الذاتية؛ أنه عصي على التأطير والتقعيد، وتختلف أنماطه طبقاً لاختلاف دوافعه ومراميه التي تختلف اختلافًا كبيرًا بين كل كاتب وغيره، قدر اختلاف النفس البشرية في منازعها وتكوينها، وهذا الاختلاف قد أفاد هذا الجنس الأدبي فأخذ من كل جنس بطرف، ولم يكن نتيجة لفكر ما بعد الحداثة.
- توافر للكاتبة عدد من العوامل في النشأة، والتكوين العلمي، والنفسي، والمجتمعي، جعل رؤيتها للأنا والآخر رؤية موضوعية جديرة بالبحث والرصد، فهي الأستاذة الجامعية، والناقدة الأكاديمية التي تخصصت في الأدب الانجليزي، ولكن ما يميز الكاتبة ويجعلها متفردة بين الأقلام النسائية في العالم العربي هو مسلكها المغاير الذي يتمحور حول ثلاثة محاور:

١- انفتاحها على كل قضايا مجتمعها وأمتها العربية، وتوظيفها المتميز للتاريخ، فلم يتم تصنيفها من النسويات .

٢- الأمر الثاني: كان تناولها لقضايا المرأة تناولاً حياديا متفرداً بعيداً عن لغة المرأة في السرد التي تعد صكوكا قد تهرأت من فرط الاستعمال .

٣- ينأى أسلوب الكاتبة عن الحدة وافتعال الخلاف، بل يتسم بالهدوء ويحاط بالتحليل المنطقي والتفسير النفسي، وتنويع الأساليب، والمزج بين الجد والهزل، والفكاهة والسخرية، والسرد والحوار، والفصحى والعامية؛ ليجد القارئ نفسه يسلس قياده لفكرها ورؤيتها .

-واختارت الكاتبة عدداً من السير الغيرية- أقحمتها في سيرتها الذاتية- لعدد من النساء، اقتربت منهن، وتحدثت حديثًا مغلفا بالصدق، وممتزجاً بالواقعية، لأنها شخصيات حقيقية، وتميزت الكاتبة في التنويع بين النماذج النسائية لتبرز عدداً من قضايا المرأة، فكل امرأة تحمل صورة مغايرة للأخرى.

-لم يكن للرجل وجود قوي في السيرة يدنو من وجود المرأة، ولكنه يظهر مختفياً في السير الغيرية للمرأة، فقصص النساء -في الأغلب- أبطالها، وصانعوها هم الرجال، ولكن الأهم أن الرجل ليس هو المذنب الوحيد في قضايا المرأة التي تناولتها، بل تجده مظلوماً – في بعض المواقف- .

-جاءت رؤيتها للآخر/ الغربي موضوعية، محايدة، لم تستطع أن تخفي إعجابها ببعض الأمور، ولم تترك فرصة لنقد الآخر، ونقض أفكاره، وتعرية مساوئه إلا وأحسنت استخدامها ..

- -والكاتبة لم تتعمد الموازنة بين الأنا/الشرق، والآخر / الغرب، إلا في خضم الحديث عن بعض المواقف في سيرتها الذاتية، وتناولت عرضاً الحديث عن: السياسة، والتعليم، والصحة، والحرية، والمجتمع، والفنون، وكان انبهارها بالحرية في الغرب هو سر إعجابها الوحيد به، فأشادت بالفنون التي خلدت الثورات والحروب، والتمرد ضد طغاة الحكام، وأبدت بها إعجاباً ملحوظاً.

-كان بُعد الكاتبة الروائية؛ هو أكثر الأبعاد التي سيجدها القارئ لدى الكاتبة التي جمعت في سيرتها بين عدد من أنماط الكتابة السردية، ليجد القارئ بجانب المقال، اليوميات، والمذكرات، والاعتراف، وروح الرواية تسري بين أوصال السيرة، وتأخذ بمجامعها من البدء حتى الختام، في الكتب الثلاثة . وقد استحقت عناصر الرواية الوقوف عليها مثل: الشخصية، والزمان، والمكان.

- أنني أؤمن – مع من يؤمن- بأن الأدب النسائي، يحمل هوية المرأة إن تجاوزنا مضمونه وأفكاره، يحملها فنًا وأداة، انطبعت أغلبها بطبائع المرأة، ودارت في فلكها، والاختلاف بين الرجل والمرأة في الجوانب العقلية، والنفسية، والعاطفية؛ أمر لا ينكره منكر. من معالم هذه الهوية: التكرار للموقف نفسه، وكثرة استدعاء النصوص، وكثرة التداعي للمواقف، والأحداث، والذكريات، وكثرة الإبانة عما في النفس، وتداخل الموضوعات والاستطراد، والوقفات السردية الطويلة، وخصوصية الارتباط بالزمان والمكان، وغلبة العاطفة الأنثوية التي لا يؤمن اندفاعها في الحكم على بعض الأفكار أو الأشخاص، ومنها الصراحة في الحديث عن الذات

وتعرية مساوئها، والذكاء الأنثوي في التسلل إلى عقل القارئ من خلال التفاعل معه، ومحاورته، ومزج الجد بالهزل، حتى يلين لها ويقنع بما تقدمه، ومن السمات الأنثوية: الحديث الكاشف عن طبائع النساء غير المفهومة للرجل، نحو فقدان الثقة بالنفس، والمبالغة في الشكوى عند تزاحم المهام. واستخدام المبالغات المفرطة، والمفارقات المضحكة حِيلاً دفاعية ضد الألم وأعباء العمل .

- وقد ألقت الهوية الأنثوية بظلالها على لغة السرد، ففاضت ببعض الخصائص الأسلوبية نحو: قصر الجمل، وكثرة ضمير المخاطب، وكثرة الفعل المضارع، والتلاعب بصيغ السرد في الضمائر، والأزمنة، ونوع الجملة. فضلاً عن شاعرية اللغة ورقتها، وسهولتها، و وضوحها، و بساطتها، و عفويتها من خلال استخدام بعض مفردات المعجم النسائي.
- . لن يجد القارئ في سيرة الكاتبة حديثاً متعمداً عن الجسد، وإنما ما جاء من ذلك نحو الحديث عن الجسد المحروم؛ يعد أمرًا غير بمستغرب على الكاتبة التي أبانت عن كل ما في نفسها، وصرحت بمواطن قوتها ومواطن ضعفها، وليس ثمة إثارة أو نية في الحديث عن الجنس، وإنما إشارة إلى الاحتياج الفطري في رحلتها العلمية، وغربتها الطويلة، كما صرحت باحتياجها النفسي.

**التوصيات:**

السيرة الذاتية من الأجناس الأدبية التي ينبغي الاهتمام بها، فناً، ومضمونًا، ليس باعتبارها أحد ألوان السرد تتجلى فيه تداخل الأجناس، وتعانق الفنون، وامتزاج المتخيل بالواقع فحسب؛ وإنما تعد السيرة الذاتية وثيقة تاريخية ومجتمعية تجعلنا نعيد النظر والقراءة في أمور كثيرة رسخت في الأذهان على نحو معين، قد يكون غير صحيح، فهل يمكن إعادة قراءة التاريخ، وبحث قضايا المجتمع، نحو: التعليم، والجامعة، والسياسة، والمرأة، والحرية، وقراءة النفس الإنسانية، وتتبع أسرارها، وسبر أغوارها ثم إعادة النظر في منجزها في ضوء هذه القراءة ...تظل هذه التساؤلات بحاجة إلى جهود كبيرة من قبل الباحثين والدارسين للإجابة عليها من خلال خطوة جادة نحو إعادة قراءة تراثنا

وتاريخنا وواقعنا انطلاقاً من قراءة ذواتنا .

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...**

**فهرس المصادر والمراجع**

أولاً: المصادر:

-أثقل من رضوى: مقاطع من سيرة ذاتية، د/ رضوى عاشور، - دار الشروق-مصر، ط١| ٢٠١٣م.

- الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق، د رضوى عاشور، دار الشروق - مصر ط٢/٢٠١٣م.

-الرحلة ..أيام طالبة مصرية في أمريكا، دار الآداب، لبنان، ط١/ ١٩٨٣م.

- الصرخة، د. رضوى عاشور،، دار الشروق - مصر، ط١| ٢٠١٥م.

- صيادو الذاكرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١| ٢٠٠١م .

- المنديل المعقود: دراسات في أعمال رضوى عاشور، تحرير وتقديم د / فاتن مرسي، دار الشروق - القاهرة، ط١/ ٢٠١٦م.

ثانياً: المراجع

- بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د سيزا قاسم، مكتبة الأسرة - مصر، ط/٢٠٠٤م،.

- بنية الشكل الروائي، د/ حسن بحراوي المركز الثقافي، بيروت- لبنان، والدار البيضاء،، ط١/ ١٩٩٠م.

-الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د/ يحيى إبراهيم عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

، ط١/ ٢٠١٧م .

-التشكيل الفضائي في الرواية العربية: رقصة الجديلة والنهر لوفاء عبد الرازق أنموذجاً . د/ زين الدين زكريا الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١/ ٢٠١٧م.

-الذات والآخر في الشرق والغرب: صور ودلالات وإشكاليات، د حسن شحاته، دار العالم العربي - القاهرة .

، ط١/ ٢٠٠٨م .
- السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، د زهور كرام، شركه النشر والتوزيع، الدار البيضاء.
، ط١/ ٢٠٠٤م .
- السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبدالفتاح شاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان .، ط١/ ٢٠٠٢م .
- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: رؤية نقدية، د شعبان عبدالحكيم محمد، مؤسسة الوراق للنشر – الأردن، ط١/ ٢٠١٥م.
-إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية، د ماجدة حمود، عالم المعرفة – الكويت، ط١/ ٢٠١٣م .
- صورة الذات والآخر: دراسة في أنماط السيرة الذاتية، د وجيه يعقوب السيد، دار البشير، مصر، ط١/ ٢٠١٨م .
-في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د/ عبدالمالك مرتاض، عالم المعرفة – الكويت، ط ١٩٩٨م.
-قاموس الأدب العربي الحديث، إشراف وتحرير د/ حمدي السكوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
ط١/ ٢٠١٥م .
- اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، د/ عيسى برهومة، دار الشروق، عمان – الأردن،
ط١/ ٢٠٠٢م .
-المرأة واللغة، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣/ ٢٠٠٦م .
-معجم مصطلحات نقد الرواية، د لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر– لبنان.
،ط١| ٢٠٠٢م.
- من الآخر إلى الذات: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر. دكتور حسن مجيد العبيدي، ط١/ ٢٠٠٨م،

دار الطليعة، بيروت – لبنان

ثالثاً: الدوريات، والرسائل العلمية:

– الشخصيات في رواية (حجر دافئ) لرضوى عاشور، دراسة تحليلية، للباحثة / نسمة لي ياني، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد السادس والثلاثون، جامعة الأزهر – مصر، مايو ٢٠٢٣م .

–السرد النسائي العربي بين القضية والتشكيل: روايات (فضيلة الفاروق) أنموذجاً، أطروحة ماجستير للباحثة/ خديجة حامي، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات – الجزائر،٢٠١٣م .

–صورة الأنا والآخر في رواية (أن تبقى) لخولة حمدي، أطروحة علمية مخطوطة، إعداد: فايزة معنصري، و نادية قوجبل، جامعة العربي بن مهيدي – كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٩م.

–كتابة الذات ورقشها عند بنت الشاطئ، د/ عوض عبد الباعث الأخرس، مجله كلية دار العلوم بالقاهرة، مصر، العدد(١٤١)، يوليو ٢٠٢٢م .

– –المؤثرات الغربية في تشكيل صورة الرجل في الكتابة النسوية (عينات مختارة) أطروحة دكتوراة في اللغة والأدب العربي، للباحث/ زاوي محمد، جامعة غرداية، الجزائر، ٢,٢٢م.

## Index of sources and references

First: Sources:

- *Athqal min Ridwā: Maqāṭi' min Sīrah Dhātiyyah,* Dr. Ridwā 'Āshūr, Dār al-Shurūq, Egypt, 1st ed., 2013.
- *Al-Ḥadāthah al-Mumkinah: Al-Shidyāq wa al-Sāq 'Ala al-Sāq,* Dr. Ridwā 'Āshūr, Dār al-Shurūq, Egypt, 2nd ed., 2013.
- *Al-Riḥlah... Ayyām Ṭālibah Miṣriyyah fī Amrīkā,* Dār al-Ādāb, Lebanon, 1st ed., 1983.
- *Al-Ṣarḵah,* Dr. Ridwā 'Āshūr, Dār al-Shurūq, Egypt, 1st ed., 2015.
- *Ṣayyādū al-Dhākirah,* Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Casablanca, Morocco, 1st ed., 2001.
- *Al-Mandīl al-Ma'qūd: Dirāsāt fī A'māl Ridwā 'Āshūr,* Edited and Presented by Dr. Fātin Mursī, Dār al-Shurūq, Cairo, 1st ed., 2016.

Second: References:

- *Bina' al-Riwāyah: Dirāsah Muqāranah fī Thalāthīyat Najīb Maḥfūẓ,* Dr. Sīzah Qāsim, Maktabat al-Usrah, Egypt, 2004.
- *Binyat al-Shakl al-Riwā'ī,* Dr. Ḥassan Baḥrāwī, Al-Markaz al-Thaqāfī, Beirut, Lebanon & Al-Dār al-Bayḍā', 1st ed., 1990.
- *Al-Tarjamah al-Dhātiyyah fī al-Adab al-'Arabī al-Ḥadīth,* Dr. Yaḥyā Ibrāhīm ʿAbd al-Dā'im, Al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah li-l-Kitāb, 1st ed., 2017.
- *Al-Tashkīl al-Faḍā'ī fī al-Riwāyah al-'Arabīyah: Raqṣat al-Jadīlah wa al-Nahr li-Wafā' ʿAbd al-Rāziq Anmūdhajān,* Dr. Zayn al-Dīn Zakariyā al-Shaykh, Al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah li-l-Kitāb, 1st ed., 2017.
- *Al-Dhāt wa al-Ākhar fī al-Sharq wa al-Gharb: Ṣuwar wa Dalālāt wa Ishkāliyyāt,* Dr. Ḥassan Shaḥātah, Dār al-'Ālam al-'Arabī, Cairo, 1st ed., 2008.
- *Al-Sard al-Nisā'ī al-'Arabī: Muqārah fī al-Mafhūm wa al-Khiṭāb,* Dr. Zohūr Karām, Sharikah al-Nashr wa al-Tawzīʿ, Al-Dār al-Bayḍā', 1st ed., 2004.
- *Al-Sīrah al-Dhātiyyah fī al-Adab al-'Arabī,* Tahānī ʿAbd al-Fattāḥ Shākir, Al-Mu'assasah al-'Arabīyah li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2002.
- *Al-Sīrah al-Dhātiyyah fī al-Adab al-'Arabī al-Ḥadīth: Ru'yah Naqdīyah,* Dr. Shaʿbān ʿAbd al-Ḥakīm Muḥammad, Mu'assasah al-Warāq li-l-Nashr, Jordan, 1st ed., 2015.
- *Ishkāliyyat al-Anā wa al-Ākhar: Namādhij Riwā'īyah 'Arabīyah,* Dr. Mājidah Ḥamūd, ʿĀlam al-Maʿrifah, Kuwait, 1st ed., 2013.
- *Ṣūrat al-Dhāt wa al-Ākhar: Dirāsah fī Anmāṭ al-Sīrah al-Dhātiyyah,* Dr. Wajīh Yaʿqūb al-Sayyid, Dār al-Bashīr, Egypt, 1st ed., 2018.
- *Fī Naẓariyat al-Riwāyah: Baḥth fī Taqnīyāt al-Sard,* Dr. ʿAbd al-Mālik Murtāḍa, ʿĀlam al-Maʿrifah, Kuwait, 1st ed., 1998.
- *Qāmūs al-Adab al-'Arabī al-Ḥadīth,* Supervised and Edited by Dr. Ḥamdī al-Sukūt, Al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah li-l-Kitāb, 1st ed., 2015.

- *Al-Lughah wa al-Jins: Ḥafariyyāt Lugawīyah fī al-Dhukurah wa al-Ānūthah,* Dr. ʿĪsá Barhūmah, Dār al-Shurūq, Amman, Jordan, 1st ed., 2002.
- *Al-Mar'ah wa al-Lughah,* ʿAbd Allāh al-Ghudhāmī, Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, Al-Dār al-Bayḍā', 3rd ed., 2006.
- *Muʃam Maṣṭalaḥāt Naqd al-Riwāyah,* Dr. Laṭīf Zaytūnī, Maktabat Lubnān Nāshirūn, Dār al-Nahār li-l-Nashr, Lebanon, 1st ed., 2002.
- *Min al-Ākhar ilā al-Dhāt: Dirāsāt fī al-Falsafah al-Ḥadīthah wa-l-Muʿāṣirah wa-l-Fikr al-Falsafī al-ʿArabī al-Muʿāṣir,* Dr. Ḥassan Majīd al-ʿAbbīdī, 1st ed., 2008, Dār al-Ṭalīʿah, Beirut, Lebanon.

Third: Periodicals and Scientific Theses:

- *Al-Shakhṣīyāt fī Riwayat "Ḥajar Dāfiʾ" li-Raḍwā ʿĀshūr, Dirāsah Tahlīlīyah,* by Nasmah Lī Yānī, Majallat Kullīyat al-Lughah al-ʿArabīyah bi-Ittāy al-Barūd, Issue 36, Al-Azhar University, Egypt, May 2023.

- *Al-Sard al-Nisāʾī al-ʿArabī Bayna al-Qadiyyah wa al-Tashkīl: Riwayāt "Faḍīlah al-Fārūq" Anmūdhajān,* Master's Thesis by Khadījah Ḥāmī, University of Mouloud Mammeri, Faculty of Arts and Languages, Algeria, 2013.
- *Ṣūrat al-Anā wa al-Ākhar fī Riwayat "An Tabqā" li-Khawlah Ḥamdī,* Scientific Thesis (Manuscript), Prepared by Fāʾizah Maʿanṣarī and Nādyah Qūjbal, University of ʿArabī Ben Mahdī, Faculty of Arts and Languages, Algeria, 2019.
- *Kitābat al-Dhāt wa Raqshahā ʿInda Bint al-Shāṭīʾ,* Dr. ʿAwad ʿAbd al-Bāʿith al-Akhras, Majallat Kullīyat Dār al-ʿUlūm bi-l-Qāhirah, Egypt, Issue 141, July 2022.
- *Al-Muʾathirāt al-Gharbīyah fī Tashkīl Ṣūrat al-Rajul fī al-Kitābah al-Niswīyah (ʿAyīnāt Mukhtārah),* PhD Dissertation in Arabic Language and Literature by Zāwī Muḥammad, University of Ghardaïa, Algeria, 2022.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ملخص البحث | ٨٣٩ |
| آية قرآنية | ٨٤١ |
| إهداء | ٨٤١ |
| مقدمة | ٨٤٢ |
| التمهيد | ٨٤٧ |
| – الأنا والآخر. | ٨٤٧ |
| – السيرة الذاتية– النسائية. | ٨٤٩ |
| – الدكتورة رضوى عاشور . | ٨٥٢ |
| المبحث الأول: الأنا/ المرأة، والآخر/ الرجل. | ٨٦٣ |
| المبحث الثاني: الأنا/ العربي، والآخر/ الغربي | ٨٨٤ |
| المبحث الثالث: جماليات البناء السردي:. | ٨٩٤ |
| المبحث الرابع: الهوية الأنثوية في نص السيرة الذاتية | ٩١٦ |
| الخاتمة | ٨٣٠ |
| فهرس المصادر والمراجع. | ٨٣٣ |
| فهرس الموضوعات . | ٩٣٨ |